

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة آل عمران

وهي مدنية، لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة، كما سيأتى بيان ذلك عند تفسير آية المباهلة منها، إن شاء الله تعالى، وقد ذكرنا ما ورد في فضلها مع سورة البقرة أول تفسير البقرة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الذِّكْرُ﴾ ١ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ٣ ﴿لَهُ الْكُورُونُ وَاللَّيْلُ وَالنَّجْمُ﴾ ٤ ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ٥

قد ذكرنا الحديث<sup>(١)</sup> الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ و﴿الذِّكْرُ﴾ في قوله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ عند تفسير آية الكرسي وقد تقدم الكلام على قوله ﴿الذِّكْرُ﴾ في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقد تقدم أيضًا الكلام على قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في تفسير آية الكرسي.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذِكْرُكَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يعنى نزل عليك القرآن يا محمد بالحق، أى لا شك فيه ولا ريب، بل هو منزل من عند الله، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً، وقوله: ﴿مَمْدُودًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أى من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء فهى تصدقة بما أخبرت به، وبشرت فى قديم الزمان، وهو يصدقها، لأنه طابق ما أخبرت به، وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه. وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ أى على موسى بن عمران، ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ أى على عيسى ابن مريم عليهما السلام، ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ أى من قبل هذا القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أى فى زمانهما. ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾ وهو الفارق بين الهدى والضلال. والحق والباطل، والغنى والرشاد، بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيّنات والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات، وبيّنه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد إليه وبنه عليه من ذلك. وقال قتادة والربيع بن أنس: الفرقان - ههنا - القرآن. واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن فى قوله: ﴿ذِكْرُكَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ وهو القرآن. وأما ما رواه ابن أبى حاتم<sup>(٢)</sup> عن أبى صالح، أن المراد بالفرقان ههنا التوراة، فضعيف أيضًا لتقدم ذكره التوراة، والله أعلم.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أى جحدوا بها وأنكروها وردوها بالباطل، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أى يوم القيامة، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أى منيع الجناب عظيم السلطان، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ أى ممن كذب بآياته وخالف رسله الكرام وأنبياءه العظام.

(١) سبق تخريجه في سورة «البقرة» آية (٢٥٥).

(٢) تفسير ابن أبى حاتم (٣٧/٢)، برقم (٥١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

يخبر تعالى أنه يعلم غيب السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي يخلقكم كما يشاء في الأرحام من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقى وسعيد، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي هو الذي خلق، وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له، وله العزة التي لا ترام، والحكمة والأحكام. وهذه الآية فيها تعريض، بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق، كما خلق الله سائر البشر، لأن الله صوره في الرحم وخلقها كما يشاء، فكيف يكون إلهًا كما زعمته النصراني، عليهم لعائن الله، وقد تقلب في الأحشاء وتنقل من حال إلى حال؟ كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦].

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُؤِخِّرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ الشَّيْءِ لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْأَعْمَادَ ﴿٩﴾﴾

يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات، هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشبهه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي تحتل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد. وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه فروى عن السلف عبارات كثيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وأحكامه وحدوده وفرائضه وما يؤمر به ويعمل به وعن ابن عباس أيضاً أنه قال المحكمات قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهِ سَيِّئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] والآيات بعدها.

وقوله تعالى: ﴿وَقَصَّ رَبُّكَ الْأَمْثَالَ تَبْدُؤًا إِلَّا آيَةً﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى ثلاث آيات بعدها ورواه ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> وحكاها عن سعيد بن جبيرة قال: حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبى فاختة تراجعا في هذه الآية وهي ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فقال أبو فاختة: فواتح السور، وقال يحيى بن يعمر: الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام. وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبيرة: هن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب، وقال مقاتل بن حيان: لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن، وقيل في المتشابهات:

تفسير ابن أبي حاتم (٥٣/٢)، برقم (٨٠).

أنهن المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقيل هي الحروف المقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان، وعن مجاهد المتشابهات يصدق بعضها بعضاً وهذا إنما هو في تفسير قوله ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا نَذَارًا ﴾ [الزمر: ٢٣] هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد والمثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك. وأما ههنا فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم، وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله حيث قال منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف عما وضعن عليه، قال: والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ويحرفن عن الحق.

ولهذا قال تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ بِهِ ﴾ أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى: ﴿ آيَاتِنَا آتَيْنَاهُ لَأُنبِتَهُمْ لَأَتَّبِعَهُمْ إِيهَامًا لَهُمْ أَنَّهُمْ يَحْتَجِبُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤] وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألهاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف: ٥٩] ويقول ﴿ إِنَّكَ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله.

وقوله تعالى: ﴿ وَآيَاتِنَا تَأْوِيلُهَا ﴾ أي تحريفه على ما يريدون وقال مقاتل بن حيان والسدي يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِهِ آيَاتٌ تُحْكِمُ لِمَنْ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْحِكْمَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَنْزَلْنَا الْأَنْبِيَاءَ ﴾ فقال: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم» هكذا وقع الحديث في مسند الإمام أحمد من رواية ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها ليس بينهما أحد وهكذا رواه ابن ماجه<sup>(٢)</sup> من طريق إسماعيل بن علي وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن أيوب عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة عنها به. ورواه محمد بن يحيى العبدى في مسنده عن عبد الوهاب الثقفي عن أيوب به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب وكذا رواه غير واحد عن أيوب وقد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أيوب به. وتابع أيوب أبو عامر الخراز وغيره عن ابن أبي مليكة. فرواه الترمذي عن بندار، عن أبي داود الطيالسي، عن أبي عامر الخراز، فذكره وهكذا رواه سعيد بن منصور في سننه عن حماد بن يحيى الأبح، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة.

ورواه ابن جرير<sup>(٣)</sup> من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجمحي، كلاهما عن ابن أبي

(٢) صحيح: ابن ماجه (٤٧)، وانظر صحيح ابن ماجه.

(١) في المسند (٢٣٦٩٠).

(٣) في التفسير (١٩٣/٦).

مليكة، عن عائشة به. وقال نافع في روايته عن ابن أبي مليكة: حدثتني عائشة، فذكره. وقد روى هذا الحديث البخاري<sup>(١)</sup> عند تفسير هذه الآية، ومسلم<sup>(٢)</sup> في كتاب القدر من صحيحه، وأبو داود<sup>(٣)</sup> في السنة من سننه، ثلاثهم عن القعنبى، عن يزيد بن إبراهيم التستري، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضی الله عنها، قالت: تلا رسول الله ﷺ، هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» لفظ البخاري. وكذا رواه الترمذي<sup>(٤)</sup> أيضاً، عن بندار عن أبي داود الطيالسي، عن يزيد بن إبراهيم به وقال: حسن صحيح وذكر أن يزيد بن إبراهيم التستري تفرد بذكر القاسم في هذا الإسناد. وقد رواه غير واحد عن ابن أبي مليكة عن عائشة، ولم يذكروا القاسم كذا قال. ورواه أبو بكر بن المنذر في تفسيره من طريقين عن النعمان بن محمد بن الفضل السدوسي ولقبه عارم: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة، عن عائشة به. وقد رواه ابن أبي حاتم فقال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري وحماد بن سلمة، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضی الله عنها، قالت: سئل رسول الله ﷺ، عن قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ فقال رسول الله ﷺ «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

وقال ابن جرير<sup>(٥)</sup>: حدثنا علي بن سهل، حدثنا الوليد بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة رضی الله عنها قالت: نزع رسول الله ﷺ بهذه الآية: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾، فقال رسول الله ﷺ «قد حذرکم الله فإذا رأيتموهم فاحذروهم» ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة به، وقال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup>: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد عن أبي غالب، قال: سمعت أبا أمامة يحدث النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ قال «هم الخوارج». وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال «هم الخوارج» وقد رواه ابن مردويه من غير وجه، عن أبي غالب عن أبي أمامة مرفوعاً فذكره، وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفاً من كلام الصحابي، ومعناه صحيح، فإن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي ﷺ غنائم حنين، فكانهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجئوه بهذه المقالة، فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة - بقر الله خاصرته - اعدل فإنك لم تعدل، فقال له رسول الله ﷺ «لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، أيا منى على أهل الأرض ولا تأمنوني». فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب، وفي رواية خالد بن الوليد، في قتله، فقال «دعه فإنه يخرج من ضئضىء هذا، أى من جنسه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يمرقون من الدين كما

(١) البخاري (٤٥٤٧).

(٢) مسلم (٢٦٦٥).

(٣) أبو داود (٤٥٩٨).

(٤) الترمذي (٢٩٩٤).

(٥) في التفسير (١٩٢/٦).

(٦) في المسند (٢١٧٥٦).

يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم»<sup>(١)</sup> ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقتلهم بالنهروان، ثم تشعبت منهم شعوب، وقبائل وآراء، وأهواء، ومقالات، ونحل كثيرة منتشرة، ثم نبعت القدرية، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق عليه السلام في قوله «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي»، أخرجه الحاكم في مستدركه<sup>(٢)</sup> بهذه الزيادة.

وقال الحافظ أبو يعلى<sup>(٣)</sup>: حدثنا أبو موسى حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا المعتمر عن أبيه، عن قتادة، عن الحسن بن جندب بن عبد الله، أنه بلغه عن حذيفة، أو سمعه منه، يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ذكر «إن في أمي قوماً يقرءون القرآن، ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله» لم يخرجوه.

وقوله تعالى ﴿وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ اختلف القراء في الوقف هنا. ، فقيل: على الجلالة، كما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله، ويروى هذا القول عن عائشة وعروة وأبي الشعثاء وأبي نهيك وغيرهم.

وقد قال الحافظ أبو القاسم في المعجم الكبير<sup>(٤)</sup>: حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول «لا أخاف على أمي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يتغنى تأويله ﴿وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وَالرَّيْسُونَ فِي الْيَوْمِ يُؤَلُّونَ آمَنَّا بِهِ» الآية، وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يباليون عليه» غريب جداً. وقال ابن مردويه<sup>(٥)</sup>: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن عمرو، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا ابن أبي حازم، عن أبيه، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن ابن العاص، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به» وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه، قال: كان ابن عباس يقرأ: وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون آمنا به، وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله، وحكى ابن جرير أن في قراءة عبد الله بن مسعود: إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، وكذا عن أبي بن كعب، واختار ابن جرير هذا القول.

(١) البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

(٢) حسن: «المستدرک» (٢١٨/١)، برقم (٤٤٤).

(٣) رجاله ثقات: ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٩/٢)، ولم يعزه لغير أبي يعلى، وهو في «المطالب العالية» (٣٥٣٠)، وقال البوصيرى: رواه ثقات.

(٤) الطبراني في «الكبير» (٣٣٢/٣)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٣/١)، وقال: فيه محمد بن إسماعيل بن عياش، عن أبيه ولم يسمع من أبيه.

(٥) حسن: أخرجه ابن سعد (١٩٢/٤)، وعزه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤٩/٢) إلى ابن مردويه.

ومنهم من يقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد، وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله، وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به، وكذا قال الربيع بن أنس، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَمَا يَسْتَلِمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الذي أراد ما أراد ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ﴾، ثم ردوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فانسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضاً، فنفذت الحجة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودفع به الكفر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس، فقال «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»<sup>(١)</sup> ومن العلماء من فصل في هذا المقام وقال: التأويل يطلق، ويراد به في القرآن معنيان: أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] وقوله ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أى حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ﴾ خبره، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله ﴿يَتَنَبَّأُ بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: ٣٦] أى بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا يكون قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ﴾ حالاً منهم، وساغ هذا، وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه، كقوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] - إلى قوله - ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْنِرْنَا لَنَا وَلاَ نُفْرِتْ﴾ [الحشر: ١٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَبَيَّاتُكَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] أى وجاءت الملائكة صفوفاً صفوفاً.

وقوله إخباراً عنهم إنهم ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ﴾، أى المتشابه، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أى الجميع من المحكم، والمتشابه حق وصدق، وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له، لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد، كقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أى إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعانى على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة، وقد قال ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup>: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا فياض الرقي، حدثنا عبد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ أنسا وأبا أمامة وأبا الدرداء رضى الله عنهم قال: حدثنا أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم، فقال: «من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن أعف بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين في العلم».

(١) البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) ضعيف جداً: ابن أبي حاتم (٥٩٩/٢)، والطبري (١٨٤/٣). وفيه عبد الله بن يزيد قال أحمد عنه: أحاديثه موضوعة. وقال «الجوزجاني» أحاديثه منكورة.

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: سمع رسول الله ﷺ قوماً يتدارؤون، فقال «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا به، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه» وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار، عن ابن أبي حازم، عن أبيه، عن عمرو بن شعيب به، وقد قال أبو يعلى<sup>(٢)</sup> أحمد بن علي بن المنثري الموصلي في مسنده: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا أنس بن عياض، عن أبي حازم، عن أبي سلمة، قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال «نزل القرآن على سبعة أحرف، والمرء في القرآن كفر - قالها ثلاثاً - ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله» وهذا إسناد صحيح، ولكن فيه علة بسبب قول الراوي «لا أعلمه إلا عن أبي هريرة». وقال ابن المنذر في تفسيره: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني نافع بن يزيد، قال: يقال: الراسخون في العلم المتواضعون لله، المتذللون لله في مرضاته، لا يتعاضمون على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ إِلَّا أُولُو الْأَيْتِيبِ﴾ أي إنما يعقل ويفهم ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة ثم قال تعالى مخبراً عنهم أنهم دعوا ربهم قائلين ﴿رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَدِّ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، أي لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمته عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم، ودينك القويم، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا، وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَوْقَابُ﴾.

قال ابن أبي حاتم<sup>(٣)</sup>: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، قالاً جميعاً: حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، أن النبي ﷺ كان يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ثم قرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَدِّ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْقَابُ﴾ ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكار، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، وهي أسماء بنت يزيد بن السكن، سمعها تحدث: إن رسول الله ﷺ، كان يكثر من دعائه «اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» قالت قلت: يا رسول الله، وإن القلب ليتقلب؟ قال: «نعم، ما خلق الله من بنى آدم من بشر إلا قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل، فإن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه»<sup>(٤)</sup> فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب - وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى، عن عبد الحميد بن بهرام به مثله، ورواه أيضاً عن المنثري عن الحجاج بن منهال عن عبد الحميد بن

(١) حسن: في المسند (٦٧٠٢)، وانظر مشكاة المصابيح.

(٢) صحيح: أبو يعلى في مسنده (١٠٤/٦) برقم (٦٠١٦)، وانظر صحيح الجامع (١٤٩٥).

(٣) ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٤/٢)، برقم (١٤٥).

(٤) حسن لغيره: والجملة الأولى ثابتة بأسانيد صحيحة أخرجه الترمذي (٣٥٢٢) وحسنه، وابن أبي حاتم (٢/٦٠٢)، والطبري (١٨٧/٣)، وفي إسناده شهر بن حوشب كثير الإرسال والأوهام وبقية رجاله ثقات، وله شاهد من حديث عائشة: أخرجه أحمد، برقم (٢٥٦٠٢).

بهرام به مثله، وزاد: «قلت يا رسول الله، ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: «بلى، قولى اللهم رب النبي محمد، اغفر لى ذنبى، وأذهب غيظ قلبى، وأجرنى من مضلات الفتن».

ثم قال ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقى، حدثنا العباس بن الوليد الخلال، أخبرنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله، أخبرنا سعيد بن بشير عن قتادة، عن حسان الأعرج، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدعو «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» قلت: يا رسول الله، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء، فقال «ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاعه، أما تسمعين قوله ﴿رَبَّنَا لَا تُؤِخِّرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾» غريب من هذا الوجه، ولكن أصله ثابت فى الصحيحين<sup>(١)</sup> وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة، وقد رواه أبو داود والنسائى وابن مردويه<sup>(٢)</sup> من حديث أبى عبد الرحمن المقرئ، زاد النسائى وابن حبان وعبد الله بن وهب كلاهما عن سعيد بن أبى أيوب: حدثنى عبد الله بن الوليد التجيبى عن سعيد بن المسيب، عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال «لا إله إلا أنت، سبحانك، اللهم إنى أستغفرك لذنبى، وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علماً ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لذك رحمة إنك أنت الوهاب» لفظ ابن مردويه.

وقال عبد الرزاق<sup>(٣)</sup> عن مالك عن أبى عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن عبادة بن نسي أنه أخبره أنه سمع قيس بن الحارث يقول: أخبرنى أبو عبد الله الصنابحى أنه صلى وراء أبى بكر الصديق رضى الله عنه المغرب، فقرأ أبو بكر فى الركعتين الأوليين بأمر القرآن وسورتين من قصار المفصل، وقرأ فى الركعة الثالثة، قال: فدنوت منه حتى إن ثيابى لتكاد تمس ثيابه، فسمعتة يقرأ بأمر القرآن وهذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤِخِّرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الآية. قال أبو عبيد: وأخبرنى عبادة بن نسي أنه كان عند عمر بن عبد العزيز فى خلافته، فقال عمر لقيس: كيف أخبرتنى عن أبى عبد الله؟ قال عمر: فما تركناها منذ سمعناها منه وإن كنت قبل ذلك لعلى غير ذلك، فقال له رجل: على أى شىء كان أمير المؤمنين قبل ذلك، قال: كنت أقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وقد روى هذا الأثر الوليد بن مسلم عن مالك والأوزاعى، كلاهما عن أبى عبيد به، وروى هذا الأثر الوليد أيضاً عن ابن جابر، عن يحيى بن يحيى الغسانى، عن محمود بن لبيد، عن الصنابحى، أنه صلى خلف أبى بكر المغرب، فقرأ فى الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة قصيرة يجهر بالقراءة، فلما قام إلى الثالثة، ابتدأ القراءة، فدنوت منه حتى إن ثيابى لتمس ثيابه، فقرأ هذه الآية ﴿رَبَّنَا لَا تُؤِخِّرْ قُلُوبَنَا﴾ الآية.

وقوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ الْيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أى يقولون فى دعائهم: إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم، وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه، وتجزى كلاً بعمله وما كان عليه فى الدنيا من خير وشر.

(١) مسلم (٢٦٤٥)، من حديث عمرو بن العاص.

(٢) ضعيف: أبو داود (٥٠٦١)، والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» برقم (٨٦٥). وانظر ضعيف أبى داود.

(٣) فى المصنف (١٠٩/٢) برقم (٢٦٩٨).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٥٢﴾ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٣﴾﴾  
 يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ النَّارِ﴾ [غافر: ٥٢] وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد ينافع لهم عند الله، ولا بمنحيتهم من عذابه وأليم عقابه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُغْنِيكَ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥] وقال تعالى: ﴿لَا يَغْنَثُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي آلِكَ مَتَّعَ قَلِيلًا ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَرِيشَ الْهَٰهَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]، وقال ههنا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى بآيات الله، وكذبوا رسله، وخالفوا كتابه، ولم ينتفعوا بوجيه إلى أنبيائه ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ أى حطبها الذى تسجر به، وتوقد به، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨].

وقال ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا ابن لهيعة، أخبرنى ابن الهاد عن هند بنت الحارث، عن أم الفضل أم عبد الله بن عباس، قالت: بينما نحن بمكة، قام رسول الله ﷺ من الليل فنادى «هل بلغت اللهم، هل بلغت» ثلاثاً، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: نعم، ثم أصبح فقال رسول الله ﷺ «ليظهرن الإسلام حتى يرد الكفر إلى موطنه، ولتخوضن رجال البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقروونه، ثم يقولون: قد قرأنا وعلمنا، فمن هذا الذى هو خير منا، فهل فى أولئك من خير؟» قالوا: يا رسول الله، فمن أولئك؟ قال «أولئك منكم، وأولئك هم وقود النار» وكذا رأيت بهذا اللفظ وقد رواه ابن مردويه من حديث يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن هند بنت الحارث امرأة عبد الله بن شداد، عن أم الفضل، أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة، فقال «هل بلغت» يقولها ثلاثاً فقام عمر بن الخطاب وكان أوها، فقال: اللهم نعم، وحرصت، وجهدت، ونصحت، فاصبر فقال النبى ﷺ «ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى موطنه، وليخوضن رجال البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يقرءون القرآن، فيقرءونه ويعلمونه، فيقولون: قد قرأنا وقد علمنا فمن هذا الذى هو خير منا؟ فما فى أولئك من خير» قالوا: يا رسول الله، فمن أولئك؟ قال «أولئك منكم، وأولئك هم وقود النار» ثم رواه من طريق موسى بن عبيد، عن محمد بن إبراهيم عن بنت الهاد عن العباس بن عبد المطلب بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: كصنيع آل فرعون، وكذا روى عن عكرمة ومجاهد وأبى مالك والضحاك وغير واحد، ومنهم من يقول: كسنة آل فرعون، وكفعل آل فرعون، وكشبه آل فرعون، والألفاظ متقاربة، والدأب بالتسكين والتحرك أيضاً كنهز ونهر، هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة، كما يقال لا يزال هذا دأبى ودأبك، وقال امرؤ القيس:  
 وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تأسف أسى وتجمل

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٩٠) برقم (١٥٢)، وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٩١) وقال: رجاله ثقات إلا أن هند بنت الحارث الخثعمية التابعة لم أر من وثقها ولا من جرحها.

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل والمعنى كعادتك في أم الحويرث حين أهلكت نفسك في جها وبكيت دارها ورسمها، والمعنى في الآية أن الكافرين لا تغنى عنهم الأموال ولا الأولاد، بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسول فيما جاؤوا به من آيات الله وحججه، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أى شديد الأخذ أليم العذاب لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء، بل هو الفعال لما يريد الذى قد غلب كل شيء ودل له كل شيء، لا إله غيره ولا رب سواه.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٠٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ النَّقَاتِ فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْآمِنِينَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٠٣﴾﴾

يقول تعالى: قل يا محمد للكافرين ﴿سُتْلَبُونَ﴾ أى فى الدنيا، ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ أى يوم القيامة ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ وَيَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار<sup>(١)</sup> عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب، ورجع إلى المدينة، جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع، وقال «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً». فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله فى ذلك قوله ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٠٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿لَآيَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وقد رواه محمد بن إسحاق أيضًا، عن محمد بن أبى محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس، فذكره، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أى قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم ﴿آيَةٌ﴾، أى دلالة على أن الله معز دينه، وناصر رسوله، ومظهر كلمته، ومعل أمره ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ أى طائفتين ﴿النَّقَاتِ﴾ أى للقتال ﴿فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المسلمون ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر، وقوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْآمِنِينَ﴾ قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلهم فى العدد رأى أعينهم، أى جعل الله ذلك فيما رآه سببًا لنصرة الإسلام عليهم، وهذا لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة، وهى أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحزّر لهم المسلمين، فأخبرهم بأنهم ثلثمائة يزيدون قليلًا أو ينقصون، وهكذا كان الأمر. كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلًا، ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم.

(والقول الثانى) أن المعنى فى قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْآمِنِينَ﴾ أى ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثلهم، أى ضعفيهم فى العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم، وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفى عن ابن عباس: أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلًا، والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين رجلًا وكان هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور من أن المشركين كانوا ما بين

(١) ضعيف: ابن هشام فى السيرة (٢/٥٦١)، وعاصم بن عمر بن قتادة تابعي؛ فالحديث مرسل.

تسعمائة إلى ألف، كما رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، أن رسول الله ﷺ، لما سأل ذلك العبد الأسود لبنى الحجاج عن عدة قريش قال: كثير، قال «كم ينحرون كل يوم»؟ قال: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال النبي ﷺ «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف»<sup>(١)</sup>. وروى أبو إسحاق السبيعي، عن حارثة، عن علي رضي الله عنه، قال: كانوا ألفاً، وكذا قال ابن مسعود. والمشهور أنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف، وعلى كل تقدير كانوا ثلاثة أمثال المسلمين، وعلى هذا فيشكل هذا القول، والله أعلم.

لكن وجه ابن جرير هذا وجعله صحيحاً كما تقول: عندي ألف، وأنا محتاج إلى مثليها، وتكون محتاجاً إلى ثلاثة آلاف، كذا قال، وعلى هذا فلا إشكال، لكن بقي سؤال آخر وهو وارد على القولين، وهو أن يقال: ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّيَبْتُمْ فِي أَعيُنِكُمْ قَلِيلاً يَتَوَلَّوْكُمْ فِي أَعيُنِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال: ٤٤] فالجواب أن هذا كان في حالة والآخر كان في حالة أخرى، كما قال السدي عن الطيب عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَتَيَبْتُمْ﴾ الآية، قال: هذا يوم بدر. قال عبد الله بن مسعود: وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّيَبْتُمْ فِي أَعيُنِكُمْ قَلِيلاً يَتَوَلَّوْكُمْ فِي أَعيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] الآية.

وقال أبو إسحاق عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جاني: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، قال: فأسرنا رجلاً منهم، فقلنا، كم كنتم؟ قال: ألفاً، فعندما عاين كل من الفريقين الآخر، رأى المسلمون المشركين مثليهم، أي أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربه عز وجل، ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع، ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان، قلل الله هؤلاء في أعين هؤلاء، وهؤلاء في أعين هؤلاء، ليقدم كل منهما على الآخر ﴿يَقُولُ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال: ٤٤] أي ليفرق بين الحق والباطل، فيظهر كلمة الإيمان على الكفر والطغيان، ويميز المؤمنين ويذل الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. وقال ههنا ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ لَمَّا فِي ذَلِكَ نَاصِرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي إن في ذلك لمعتبر لمن له بصيرة وفهم يهتدى به إلى حكمة الله وأفعاله وقدره الجارى بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

﴿زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾  
 ﴿قُلْ أُوْتِبْتُ بَعْدَ مَن دَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْمُكْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء، لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ، قال «ما تركت بعدى فتنة أضرت على الرجال من

(١) صحيح: أخرجه الطبري في التفسير (٣/١٩٦)، وابن هشام في السيرة (٢/٤٤٩).

النساء»<sup>(١)</sup> فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه، مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه، «وإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»<sup>(٣)</sup> وقوله في الحديث الآخر «حب إلى النساء والطيب، وجعلت قرعة عيني في الصلاة»<sup>(٤)</sup>.

وقالت عائشة رضی الله عنها: لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من النساء إلا الخيل، وفي رواية من الخيل إلا النساء<sup>(٥)</sup>، وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة، فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ومدوح كما ثبت في الحديث «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»<sup>(٦)</sup> وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصللة الأرحام والقربات ووجوه البر والطاعات، فهذا مدوح محمود شرعاً وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال، وحاصلها أنه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره، وقيل: ألف دينار، وقيل: ألف ومائتا دينار وقيل اثنا عشر ألفاً، وقيل: أربعون ألفاً، وقيل: ستون ألفاً، وقيل سبعون ألفاً، وقيل: ثمانون ألفاً، وقيل غير ذلك، وقد قال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup>: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض»، وقد رواه ابن ماجه<sup>(٨)</sup> عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة به، وقد رواه ابن جرير<sup>(٩)</sup> عن بندار، عن ابن مهدي، عن حماد بن زيد عن عاصم هو بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة موقوفاً كرواية وكيع في تفسيره حيث قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة قال: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، الأوقية خير مما بين السماء والأرض» هذا أصح، وهكذا رواه ابن جرير<sup>(١٠)</sup> عن معاذ بن جبل وابن عمر، وحكاه ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة وأبي الدرداء، أنهم قالوا: القنطار ألف ومائتا أوقية، ثم قال ابن جرير رحمه الله: حدثنا زكريا بن يحيى الضرير، حدثنا شبابة، حدثنا مخلد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش،

(١) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)، والترمذي (٢٧٨٠)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٥٠٦٩)، وأحمد (٢٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) مسلم (١٤٦٧)، والنسائي (٣٢٣٢)، وابن ماجه (١٨٥٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) صحيح: أخرجه النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد في مسنده (١١٨٨٤). وانظر «صحيح النسائي» للألباني.

(٥) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٣/٣٦)، برقم (٤٤٠٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) حسن صحيح: أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، وانظر صحيح أبي داود.

(٧) ضعيف: في المسند (٨٥٤٠)، وانظر السلسلة الضعيفة، برقم (٤٠٧٦).

(٨) ابن ماجه (٣٦٦٠). (٩) في التفسير (٦/٢٤٤).

(١٠) في التفسير (٣/١٩٩)، وإسناده ضعيف، فيه مخلد بن عبد الواحد قال ابن حبان: منكر الحديث جداً، يتفرد

بمناكير لا تشبه حديث الثقات.

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية».

وهذا حديث منكر أيضاً، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب كغيره من الصحابة وقد روى ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن إبراهيم، عن يَحْتَشْ أبي موسى، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية إلى ألف، أصبح له قنطار من أجر عند الله، القنطار منه مثل الجبل العظيم»<sup>(١)</sup> ورواه وكيع عن موسى بن عبيدة بمعناه، وقال الحاكم في مستدركه<sup>(٢)</sup>: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد اللخمي بَنَتَيْس، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا زهير بن محمد، حدثنا حميد الطويل ورجل آخر، عن أنس بن مالك، قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْأَنْفَاطِرِ﴾؟ قال «القنطار ألفا أوقية» صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، هكذا رواه الحاكم، وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال: أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقي، أنبأنا عمرو بن أبي سلمة، أنبأنا زهير يعني ابن محمد، أنبأنا حميد الطويل، ورجل آخر قد سماه يعني يزيد الرقاشي، عن أنس، عن رسول الله ﷺ، في قوله «قنطار يعني ألف دينار» وهكذا رواه ابن مردويه والطبراني عن عبد الله بن محمد ابن أبي مريم، عن عمرو بن أبي سلمة، فذكر بإسناده مثله سواء، وروى ابن جرير عن الحسن البصري عنه مرسلًا وموقوفاً عليه: القنطار ألف ومائتا دينار، وهو رواية العوفي عن ابن عباس.

وقال الضحاك: من العرب من يقول: القنطار ألف دينار ومائتا دينار، ومنهم من يقول: اثنا عشر ألفًا، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عارم عن حماد عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: القنطار ملء مسك الثور ذهبًا، قال أبو محمد: ورواه محمد بن موسى الحرشي عن حماد بن زيد مرفوعًا، والموقوف أصح.

(وحب الخيل على ثلاثة أقسام) تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها، فهؤلاء يثابون، وتارة تربط فخرًا ونواه لأهل الإسلام، فهذه على صاحبها وزر وتارة لتتعفف واقتناء نسلها، ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر كما سيأتي الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] الآية، وأما المسومة، فعن ابن عباس رضى الله عنهما: المسومة الراعية، والمطهمة الحسان، وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبيزى والسدي والربيع بن أنس وأبي سنان وغيرهم، وقال مكحول: المسومة الغرة والتحجيل وقيل: غير ذلك وقد قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سويد بن قيس، عن معاوية بن خديج، عن أبي ذر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول: اللهم إنك خولتني من بنى آدم، فاجعلني من أحب

(١) ضعيف بهذا اللفظ: فيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، لكن الحديث ثابت بلفظ آخر «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين...» أخرجه أبو داود (١٣٩٨).

(٢) موضوع: المستدرک (١٩٤/٢) برقم (٢٧٣١). وانظر ضعيف الجامع برقم (٤١٤٣).

(٣) صحيح: في المسند (٢٠٩٨٦)، وانظر صحيح الجامع برقم (٢٤١٤).

ماله وأهله إليه، أو أحب أهله وماله إليه» وقوله تعالى ﴿وَالْأَنْكَبِ﴾ يعنى الإبل والبقر والغنم، ﴿وَالْحَرَبِ﴾ يعنى الأرض المتخذة للغراس والزراعة، وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أبو نعامة العدوى، عن مسلم بن بديل، عن إياس بن زهير، عن سويد بن هبيرة، عن النبى ﷺ، قال «خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة» المأمورة: الكثيرة النسل، والسكة: النخل المصطف، والمأبورة: الملقحة.

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَكُ الْحَيَوِ الدُّنْيَا﴾ أى إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ﴿وَاللَّهُ عِنْدُ حُسْنِ الْعَمَلِ﴾ أى حسن المرجع والثواب.

وقد قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن عطاء، عن أبى بكر بن حفص بن عمر بن سعد. قال: قال عمر بن الخطاب لما نزلت ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ قلت: الآن يا رب حين زينتها لنا، فنزلت ﴿قُلْ أُوَيْبِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لَٰذِينَ اتَّقَوْا﴾ الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أُوَيْبِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ أى قل يا محمد للناس: أخبركم بخير مما زين للناس فى هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذى هو زائل لا محالة، ثم أخبر عن ذلك فقال: ﴿لَٰذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى تنحرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أى ماكين فيها أبد الأباد لا يبغون عنها حولا، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أى من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أى يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً، ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى التى فى براءة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] أى أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِعَمِيرٍ بِالْوَسْبَاءِ﴾ أى يعطى كلا بحسب ما يستحقه من العطاء.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿الْقَابِلِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾  
﴿وَالْقَانِطِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالسُّفْهَانَ وَالْأَسْحَارِ﴾<sup>(٣)</sup>

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا﴾ أى بك وكتابك وبرسولك، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أى بإيماننا بك وبما شرعته لنا، فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿الْقَابِلِينَ﴾ أى فى قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة، ﴿وَالْقَانِطِينَ﴾ والقنوت الطاعة والخضوع ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أى من أموالهم فى جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الأرحام والقربات، وسد الخلات، ومواساة ذوى الحاجات ﴿وَالسُّفْهَانَ﴾ بِالْأَسْحَارِ دَلَّ عَلَى فِضِيلَةِ الْاسْتِغْفَارِ وَقْتِ الْأَسْحَارِ، وقد قيل: إن يعقوب عليه السلام، لما قال لبيته ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨] إنه أخرهم إلى وقت السحر وثبت فى الصحيحين وغيرهما من

(١) ضعيف: فى المسند (١٥٤١٨)، وانظر ضعيف الجامع (٢٩٢٦).

(٢) فى التفسير (١٩٩/٣).

المسانيد والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة، إن رسول الله ﷺ، قال «ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»<sup>(١)</sup> الحديث، وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطني في ذلك جزءاً على حدة، فرواه من طرق متعددة، وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أوله وأوسطه وآخره، فأنتهى وتره إلى السحر»، وكان عبد الله بن عمر يصلى من الليل، ثم يقول: يا نافع، هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح، رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي عن حريث بن أبي مطر، عن إبراهيم بن حاطب، عن أبيه، قال: سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد وهو يقول: يا رب، أمرتني فأطعتك، وهذا السحر فاغفر لي، فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضي الله عنه. وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْمَنُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهُ سَمِيعٌ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ فَإِنْ حَاجَّكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِمُسِيرٍ بِالْيَمِينِ ﴿١٧﴾﴾

شهد تعالى وكفى به شهيداً وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين ﴿أَنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه وبقراءه إليه، وهو الغنى عما سواه، كما قال تعالى: ﴿لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَرْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٦] الآية، ثم قرن شهادة ملائكتك وأولى العلم بشهادته، فقال ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ منصوب على الحال وهو في جميع الأحوال كذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد لما سبق، ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ العزيز الذي لا يرام جنباه عظمة وكبرياء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بقرية بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي، حدثنا أبو سعيد الأنصاري عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام، عن الزبير بن العوام، قال: سمعت النبي ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب، وقد رواه ابن أبي حاتم

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، والترمذي (٤٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥).

(٣) ضعيف: في التفسير (٢٠٨/٣) برواية ابن جرير عن ابن وكيع وهو ضعيف.

(٤) في المسند (١٣٢٤).

من وجه آخر فقال: حدثنا علي بن حسين، حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني، حدثنا عمر بن حفص بن ثابت أبو سعيد الأنصاري، حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عن الزبير، قال سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قال: «وأنا أشهد أى رب».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني فى المعجم الكبير<sup>(١)</sup>: حدثنا عبدان بن أحمد وعلى بن سعيد الرازى، قالا: حدثنا عمار بن عمر بن المختار، حدثنى أبى، حدثنى غالب القطان قال: أتيت الكوفة فى تجارة، فنزلت قريباً من الأعمش، فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْمُحْسِبُ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيْسَاءُ﴾ ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيْسَاءُ﴾ قالها مراراً، قلت: لقد سمع فيها شيئاً فغدوت إليه فودعته ثم قلت: يا أبا محمد، إنى سمعتك تردد هذه الآية، قال: أو ما بلغك ما فيها؟ قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثنى. قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة، فأقمت سنة، فكنيت على بابه، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد، قد مضت السنة قال: حدثنى أبو وائل عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ «يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: عبدى عهد إلى وأنا أحق من وفى بالعهد، أدخلوا عبدى الجنة»، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيْسَاءُ﴾ إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهواتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقى الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ وَبِئْسَ مَا قَبِلَ مِنْهُ﴾ الآية [آل عمران: ٨٥]، وقال فى هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده فى الإسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيْسَاءُ﴾، وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْمُحْسِبُ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيْسَاءُ﴾، بكسر إنه، وفتح أن الدين عند الله الإسلام، أى شهد هو والملائكة وأولوا العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام، والجمهور قرءوها بالكسر على الخير، وكلا المعنيين صحيح، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر، والله أعلم، ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول، إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم، فقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ﴾ أى بغى بعضهم على بعض فاختلفوا فى الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابره، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته فى جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقاً، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أى من جحد ما أنزل الله فى كتابه ﴿فَاتَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أى فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه، ويعاقبه على مخالفته كتابه.

ثم قال تعالى ﴿إِنَّا حَآجِرُكَ﴾ أى جادلوك فى التوحيد ﴿فَقُلْ أَنتَ وَتِجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ أى فقل:

(١) ضعيف جداً: المعجم الكبير (١٩٩/١٠) برقم (١٠٤٥٣) فيه عمار بن عمر بن المختار عن أبيه وكلامها ضعيف. انظر الضمفاء للعقيل (٣/٣٢٥).



اتباعه، ومع هذا قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ وهذا هو غاية الكبر، كما قال النبي ﷺ «الكبر بطل الحق وغمط الناس» (١).

وقال ابن أبي حاتم (٢): حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة، حدثني أبو حفص عمر بن حفص يعني ابن ثابت بن زرارة الأنصاري، حدثنا محمد بن حمزة، حدثنا أبو الحسن مولى لبنى أسد، عن مكحول، عن أبي قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، عن أبي عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال «رجل قتل نبياً أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية، ثم قال رسول الله ﷺ «يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر، فقتلوهم جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله عز وجل» وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصاهى محمد بن حفص، عن ابن حمير، عن أبي الحسن مولى بنى أسد، عن مكحول به، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار، وأقاموا سوق بقلهم من آخره، رواه ابن أبي حاتم. ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذلة والصفار فى الدنيا، والعذاب المهين فى الآخرة، فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أى موجع مهين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الْأَخْزِرِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢٢].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وعزمهم فى دينهم ما كانوا يفترون ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وُؤْفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتايبهم اللذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ، تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا فى غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أى إنما حملهم وجراهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم أنهم إنما يعذبون فى النار سبعة أيام عن كل ألف سنة فى الدنيا يوماً وقد تقدم تفسير ذلك فى سورة البقرة.

(١) مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

(٢) ابن أبي حاتم (٢/٦٢٠)، برقم (٣٣٣٢). وفيه أبو الحسن مولى لبنى أسد مجهول كما فى الجرح والتعديل. لكن أول الحديث ثابت بلفظ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة، رجل قتله نبى أو قتل نبياً». وإسناده حسن.

ثم قال تعالى: ﴿وَعَزَّزْنَا فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أى ثبتهم على دينهم الباطل، ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أياماً معدودات، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطاناً، قال الله تعالى متهدداً لهم ومتوعداً ﴿كَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أى كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله، وكذبوا رسله، وقتلوا أنبياءه، والعلماء من قومهم، الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والله تعالى سائلهم عن ذلك كله ومحاسبهم عليه ومجازيهم به، ولهذا قال تعالى: ﴿كَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أى لا شك فى وقوعه وكونه، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣١﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٢﴾﴾

يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد معظماً لربك وشاكراً له ومفوضاً إليه ومتوكلاً عليه ﴿اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ أى لك الملك كله ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ أى أنت المعطى، وأنت المانع، وأنت الذى ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن. وفى هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة، لأن الله تعالى حول النبوة من بنى إسرائيل إلى النبي العربى القرشى الأمى المكى، خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقيلين: الإنس والجن، الذى جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء، ولا رسولاً من الرسل فى العلم بالله وشريعته، وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه له عن حقائق الآخرة، ونشر أمته فى الآفاق فى مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار. ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾، أى أنت المتصرف فى خلقك، الفعال لما تريد، كما رددت على من يحكم عليه فى أمره حيث قال ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، قال الله رداً عليهم ﴿أَمَرَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية، أى نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع، ولنا الحكمة البالغة، والحجة التامة فى ذلك، وهكذا يعطى النبوة لمن يريد، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقال تعالى: ﴿أَنْتَظِرُ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١] الآية.

وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة إسحاق بن أحمد من تاريخه، عن المأمون الخليفة، أنه رأى فى قصر ببلاد الروم مكتوباً بالحميرية، فعرب له، فإذا هو بسم الله ما اختلف الليل والنهار، ولا دارت نجوم السماء فى الفلك إلا بنقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك. ومُلِكُ ذى العرش دائم أبداً ليس بفان ولا بمشترك. وقوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أى تأخذ من طول هذا فتزيده فى قصر هذا، فيعتدلان، ثم تأخذ من هذا فى هذا فيتفاوتان، ثم يعتدلان، وهكذا فى فصول السنة ربيعاً وصيفاً وخريفاً وشتاء، وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾



عمرو بن ميمون، قال: قام فينا معاذ بن جبل، فقال: يا بنى أود، إني رسول رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الجنة أو إلى النار.

﴿قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْشِرُوا بِمَا فِي أَسْمَانِكُمْ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا خَبَرَ مُحْتَضِرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ قَوْدًا لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٩﴾﴾

يخبر تبارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات وجميع الأوقات، وجميع ما فى الأرض والسموات لا يغيب عنه مثقال ذرة، ولا أصغر من ذلك فى جميع أقطار الأرض والبحار والجبال، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أى وقدرته نافذة فى جميع ذلك، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم، فإنه عالم بجميع أمورهم، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة، وإن أنظر من أنظر منهم، فإنه يمهل، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، ولهذا قال بعد هذا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا خَبَرَ مُحْتَضِرًا﴾ الآية، يعنى يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير ومن شر، كما قال تعالى ﴿يَبْيُخِّرُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] فما رأى من أعماله حسناً سره ذلك وأفرحه، وما رأى من فبيح ساءه وعاظه وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد، كما يقال لشيطانه الذى كان مقروناً به فى الدنيا، وهو الذى جراه على فعل السوء ﴿بَنَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَمَدِّ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣٨]، ثم قال تعالى مؤكداً ومهدداً ومتوعداً ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٨] أى يخوفكم عقابه، ثم قال جل جلاله مرجياً لعباده لئلا يشسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال الحسن البصرى: من رأفته بهم حذرهم نفسه وقال غيره: أى رحيم بخلقهم يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب فى دعواه فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ، أنه قال «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رده»<sup>(١)</sup> ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أى يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء المحكماء: ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن تحب. وقال الحسن البصرى وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وقد قال ابن أبى حاتم<sup>(٢)</sup>: حدثنا أبى، حدثنا على بن محمد الطنفسى، حدثنا عبید الله بن موسى عن عبد الأعلى بن أعين، عن يحيى بن أبى

(١) البخارى (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) ضعيف جداً: ابن أبى حاتم فى تفسيره (٢٠٢/٢) برقم (٣٧٦)، وانظر الضعيفة (٣٧٥٥).

كثير، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ «وهل الدين إلا الحب والبغض فى الله؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ قال أبو زرعة عبد الأعلى هذا منكر الحديث.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَقِفْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أى باتباعكم الرسول ﷺ، يحصل لكم هذا كله من بركة سفارته، ثم قال تعالى أمراً لكل أحد من خاص وعام ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أى خالفوا عن أمره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فدل على أن مخالفته فى الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم فى نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبى الأسمى خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين: الجن والإنس، الذى لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم فى زمانه ما وسعهم إلا اتباعه، والدخول فى طاعته، واتباع شريعته، كما سيأتى تقريره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية [آل عمران: ٨١]، إن شاء الله تعالى.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعَآلَ إِمْرَآنَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

رب  
الحزب

٦

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدم عليه السلام خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة، ثم أهبطه منها لما له فى ذلك من الحكمة، واصطفى نوحاً عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض، لما عبد الناس الأوثان، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وانتقم له لما طالت مدته بين ظهرائى قومه يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، فلم يزداهم ذلك إلا فرازاً، فدعا عليهم، فأغرقهم الله عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذى بعثه الله به، واصطفى آل إبراهيم، ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليه السلام. قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: هو عمران بن ياشم بن أمون ابن ميثا بن حزقيا بن أحريق بن يويم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن أجرهيو بن يازم بن يهفاشاط بن إنشا بن أبيان بن رخييم بن سليمان بن داود عليهما السلام، فعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم كما سيأتى بيانه فى سورة الأنعام، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٢﴾﴾

امرأة عمران هذه هى أم مريم عليها السلام، وهى حنة بنت فافود قال محمد بن إسحاق: وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يوماً طائراً يزق فرخه، فاشتتهت الولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولدًا، فاستجاب الله دعائها، فواقعها زوجها، فحملت منه، فلما تحققت الحمل، نذرت أن يكون محرراً أى خالصاً مفرغاً للعبادة ولخدمة بيت المقدس، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أى السميع لدعائى العليم بنيتى، ولم تكن تعلم ما فى بطنها: أذكراً أم أنثى؟ ﴿فَلَمَّا

وَمَضَّهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴿١﴾ قرىء برفع التاء، على أنها تاء المتكلم، وأن ذلك من تمام قولها، وقرىء بتسكين التاء، على أنه من قول الله عز وجل، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى ﴿وَلَيْسَ سَعْيُهَا مَرِيحًا﴾ فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا، وقد حكى مقرراً، وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ حيث قال «ولد لى الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم» أخرجاه<sup>(١)</sup>، وكذلك ثبت فيها: أن أنس بن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله، وفي صحيح البخاري<sup>(٢)</sup>: أن رجلاً قال: يا رسول الله ولد لى الليلة ولد فما أسميه؟ قال «اسم ولدك عبد الرحمن»، وثبت في الصحيح أيضاً: أنه لما جاءه أبو أسيد بابنه ليحنكه، فذهل عنه، فأمر به أبوه، فرده إلى منزلهم، فلما ذكر رسول الله ﷺ في المجلس سماه المنذر، فأما حديث قتادة عن الحسن البصرى عن سمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ، قال «كل غلام رهين بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويسمى ويحلق رأسه» فقد رواه أحمد وأهل السنن<sup>(٣)</sup>، وصححه الترمذى بهذا اللفظ، وروى: ويُدَمَى، وهو أثبت وأحفظ، والله أعلم.

وكذا ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب أن رسول الله ﷺ، علق عن ولده إبراهيم يوم سابعه وسماه إبراهيم، فإسناده لا يثبت، وهو مخالف لما في الصحيح، ولو صح لحمل على أنه أشهر اسمه بذلك يومئذ، والله أعلم، وقوله إخباراً عن أم مريم أنها قالت ﴿وَلَيْسَ أُبْيِدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام، فاستجاب الله لها ذلك، كما قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهرى، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مسه إياه، إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَلَيْسَ أُبْيِدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، أخرجاه<sup>(٤)</sup> من حديث عبد الرزاق، ورواه ابن جرير<sup>(٥)</sup> عن أحمد بن الفرج، عن بقية، عن الزبيدي، عن الزهرى عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه، وروى من حديث قيس، عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين، إلا عيسى ابن مريم ومريم» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلَيْسَ أُبْيِدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، ورواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة. ورواه ابن وهب أيضاً، عن ابن أبي ذئب، عن عجلان مولى المشمعل، عن أبي هريرة. ورواه محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بأصل الحديث. وهكذا رواه الليث بن سعد، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «كل

(١) البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥). (٢) البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٢١٣٣).

(٣) صحيح: أحمد في مسنده (١٩٥٧٩)، وأبو داود (٢٨٣٨)، والترمذى (١٥٢٢)، والنسائي (٤٢٢٠)، وابن ماجه (٣١٦٥)، وانظر إرواء الغليل برقم (١١٦٥).

(٤) البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦). (٥) في التفسير (٢٣٩/٣).

بنى آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى ابن مريم، ذهب يطعن، فطمعن في الحجاب»<sup>(١)</sup>.

﴿فَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُْمُ أَنَّى لَئِبٌ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

### حِسَابٍ ﴿٧٧﴾

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة، وأنه ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين، فلهذا قال ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ وفي قراءة: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتشديد الفاء، ونصب زكريا على المفعولية، أي جعله كافلاً لها. قال ابن إسحاق: وما ذلك إلا لأنها كانت يتيمة. وذكر غيره: أن بنى إسرائيل أصابتهم سنة جذب، فكفل زكريا مريم لذلك، ولا منافاة بين القولين والله أعلم. وإنما قدر الله كون زكريا كافلاً لسعادتها، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً، ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما، وقيل: زوج أختها، كما ورد في الصحيح «فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة»<sup>(٢)</sup> وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحاق ذلك أيضاً توسعاً، فعلى هذا كانت في حضانة خالتها وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قضى في عمارة بنت حمزة أن تكون في حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب، وقال «الخالة بمنزلة الأم»<sup>(٣)</sup>، ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلالتها في محل عبادتها، فقال ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾. قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفى والسدى: يعنى وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

وعن مجاهد ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ أي علماً، أو قال: صحفًا فيها علم، رواه ابن أبي خاتم، والأول أصح وفيه دلالة على كرامات الأولياء. وفي السنة لهذا نظائر كثيرة، فإذا رأى زكريا هذا عندها ﴿قَالَ يَمْرِؤُْمُ أَنَّى لَئِبٌ هَذَا﴾ أي يقول من أين لك هذا؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقال الحافظ أبو يعلى<sup>(٤)</sup>: حدثنا سهل بن زنجلة، حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، أن رسول الله ﷺ، أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه، فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً، فأتى فاطمة فقال «يا بنية هل عندك شيء أكله، فإنني جائع؟» قالت: لا والله - بأبي أنت وأمي - فلما خرج من عندها، بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها، فوضعت في جفنة لها، وقالت: والله لأوثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله ﷺ، فرجع إليها، فقالت له: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك. قال «هلمى

(١) في التفسير (٣/٤٢٠).

(٢) البخاري (٢٧٠٠) من حديث البراء بن عازب.

(٣) أبو يعلى كما في المطالب العالية (٤/٧٣).

(٤) البخاري (٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة.

يا بنية . قالت : فأنتبه بالجفنة ، فكشف عنها ، فإذا هي مملوءة خبزاً ولحمًا ، فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله ، فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله ، فلما رآه حمد الله وقال «من أين لك هذا يا بنية» ؟ قالت : يا أبت ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فحمد الله وقال «الحمد لله الذى جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل ، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسئلت عنه ، قالت : ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾» فبعث رسول الله ﷺ إلى على ، ثم أكل رسول الله ﷺ ، وأكل على وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبی ﷺ وأهل بيته حتى شعبوا جميعاً ، قالت : وبقيت الجفنة كما هي ، قالت : فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران ، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١٣٠﴾ فَتَدَاتُهُ الْمَلَكُوتُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣١﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٣٢﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿١٣٣﴾﴾

لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، طمع حينئذ فى الولد وكان شيخاً كبيراً قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيباً ، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقراً ، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفياً ، وقال ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ أى من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أى ولداً صالحاً ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ . قال تعالى : ﴿تَدَاتُهُ الْمَلَكُوتُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أى خاطبت الملائكة شفاهاً خطاباً ، أسمعته وهو قائم يصلى فى محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته . ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا﴾ أى بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى . قال قتادة وغيره : إنما سمي يحيى لأن الله أحياء بالإيمان .

وقوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ . روى العوفى وغيره عن ابن عباس ، وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسدى والربيع بن أنس والضحاك وغيره فى هذه الآية ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أى بعيسى ابن مريم . وقال الربيع بن أنس : هو أول من صدق بعيسى ابن مريم . وقال قتادة : وعلى سننه ومنهاجه . وقال ابن جريج : قال ابن عباس فى قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ ، قال : كان يحيى وعيسى ابنى خالة ، وكانت أم يحيى تقول لمريم : إنى أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك ، فذلك تصديقه له فى بطن أمه ، وهو أول من صدق عيسى ، وكلمة الله عيسى ، وهو أكبر من عيسى عليه السلام ، وهكذا قال السدى أيضاً .

قوله ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم : الحكيم . قال قتادة : سيِّداً فى العلم والعبادة . وقال ابن عباس والثورى والضحاك : السيد الحكيم التقى . قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم . وقال عطية : السيد فى خلقه ودينه . وقال عكرمة : هو الذى لا

يغلبه الغضب . وقال ابن زيد : هو الشريف . وقال مجاهد وغيره : هو الكريم على الله عز وجل .  
 وقوله : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ روى عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي  
 الشعثاء وعطية العوفى ، أنهم قالوا : الذى لا يأتى النساء . وعن أبى العالية والربيع بن أنس : هو الذى  
 لا يولد له وقال الضحاك : هو الذى لا ولد له ولا ماء له . وقال ابن أبى حاتم <sup>(١)</sup> : حدثنا أبى ، حدثنا  
 يحيى بن المغيرة ، أنبأنا جرير عن قابوس ، عن أبىه ، عن ابن عباس فى الحصور : الذى لا ينزل الماء .  
 وقد روى ابن أبى حاتم فى هذا حديثاً غريباً جداً ، فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي ،  
 حدثنى سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد يعنى ابن العوام ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ،  
 عن ابن العاص - لا يدري عبد الله أو عمرو - عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ قال : ثم  
 تناول شيئاً من الأرض ، فقال « كان ذكره مثل هذا » ثم قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا  
 يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، أنه سمع سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن  
 عمرو بن العاص يقول : ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا . ثم قرأ سعيد  
 ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ثم أخذ شيئاً من الأرض ، فقال : الحصور من كان ذكره مثل ذى . وأشار يحيى بن  
 سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة ، فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع بل وفى صحة المرفوع نظر  
 والله أعلم .

ورواه ابن المنذر فى تفسيره : حدثنا أحمد بن داود السمنانى ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا  
 على بن مسهر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن  
 العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ « ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا ، فإن الله يقول  
 ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ قال : « وإنما ذكره مثل هدبة الثوب » وأشار بأمنته .

وقال ابن أبى حاتم <sup>(٢)</sup> : حدثنا أبى ، حدثنا عيسى بن حماد ومحمد بن سلمة المرادى قالوا : حدثنا  
 حجاج بن سليمان المقرئ عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع ، عن أبى صالح ، عن  
 أبى هريرة أن النبى ﷺ قال « كل ابن آدم يلقى الله بذنب يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه ، إلا يحيى بن  
 زكريا فإنه كان سيِّداً وحضوراً ونبياً من الصالحين » ثم أهوى النبى ﷺ إلى قذاة من الأرض ، فأخذها  
 وقال : « وكان ذكره مثل هذه القذاة » .

وقد قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء : اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان ﴿ وَحَصُورًا ﴾ ليس  
 كما قاله بعضهم إنه كان هيوباً أو لا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ، ونقاد العلماء ، وقالوا :  
 هذه نقيصة وعيب ، ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى لا يأتيها  
 كأنه حُصِرَ عنها . وقيل مانعاً نفسه من الشهوات . وقيل ليست له شهوة فى النساء ، وقد بان لك من هذا  
 أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل فى كونها موجودة ، ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى ، أو  
 بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ، ثم هى فى حق من قدر عليها ، وقام بالواجب فيها ، ولم  
 تشغله عن ربه درجة عليا ، وهى درجة نبينا ﷺ الذى لم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك  
 عبادة بتحسينهن وقيامه عليهن وإكسابه لهن وهدايته إياهن ، بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه

(٢) ابن أبى حاتم (٢/٢٤٨) .

(١) ابن أبى حاتم (٢/٦٤٣) .

هو، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال: «حب إلى من دنياكم»<sup>(١)</sup> هذا لفظه، والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حضور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه حضور عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولدًا له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقوله: ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الْمَكِّيِّينَ﴾ هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته، وهى أعلى من الأولى، كقوله لام موسى ﴿إِنَّا آذَنُوكَ وَإِلَيْكَ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة، أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ﴾ أى الملك ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أى هكذا أمر الله عظيم، لا يعجزه شيء، ولا يتعاضمه أمر، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أى علامة أستدل بها على وجود الولد منى ﴿قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾ أى إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوى صحيح، كما فى قوله: ﴿تَلَكَّ لَيْلًا سَوِيًّا﴾ [مریم: ١٠] ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح فى هذه الحال، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّهْيِ وَالْبُكْرِ﴾.

وسياتى طرف آخر فى بسط هذا المقام فى أول سورة مریم، إن شاء الله تعالى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَسْلَفْنَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴿١٨﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَكْفَلْتَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمٌ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مریم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك، أن الله قد اصطفاهما أى اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس، واصطفاهما ثانيًا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين، قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَسْلَفْنَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قال: كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ «خير نساء ركن الإبل نساء قريش، أحناء على ولد فى صغره، ورعاة على زوج فى ذات يده، ولم تترك مریم بنت عمران بعيدًا قط» ولم يخرج من هذا الوجه سوى مسلم<sup>(٢)</sup>، فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به، وقال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «خير نساؤها مریم بنت عمران، وخير نساها خديجة بنت خويلد» أخرجاه فى الصحيحين<sup>(٣)</sup> من حديث هشام به مثله، وقال الترمذى<sup>(٤)</sup>: حدثنا أبو بكر بن زنجويه، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال «حسبك من نساء العالمين مریم بنت عمران، وخديجة

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري (٣٤٣٢)، ومسلم (٢٤٣٠).

(٣) صحيح: الترمذى (٣٨٧٨)، وانظر صحيح الجامع برقم (٣١٤٣).

(٢) مسلم (٢٥٢٧).

بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون» تفرد به الترمذى وصححه، قال عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، قال: كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ، قال «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله» رواه ابن مردويه، وروى ابن مردويه من طريق شعبة، عن معاوية بن قررة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا آدم العسقلاني، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة، سمعت مرة الهمداني، يحدث عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»<sup>(٢)</sup>.

وقد أخرجه الجماعة<sup>(٣)</sup> إلا أبا داود من طرق عن شعبة به، ولفظ البخاري «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وقد استقصيت طرق هذا الحديث والفاظه في قصة عيسى ابن مريم عليه السلام في كتابنا البداية والنهاية، ولله الحمد والمنة. ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل، لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره الله وقضاه مما فيه محنة لها، ورفعته في الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة، حيث خلق منها ولدًا من غير أب، فقال تعالى: ﴿يَمْرُؤُا أَتَتْهُ لِرَبِّكِ وَأَسْبُجِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرِّكْبَاتِ﴾<sup>(٤)</sup> أما القنوت فهو الطاعة في خشوع، كما قال تعالى: ﴿بَلْ لَّمْ يَأْتِي فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْبَابِ كُلِّ لَمْ يَلْمِزُوكُمْ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقد قال ابن أبي حاتم<sup>(٥)</sup>: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن دراجًا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ، قال «كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة». ورواه ابن جرير من طريق ابن لهيعة عن دراج به، وفيه نكارة. وقال مجاهد: كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تتورم كعباها والقنوت هو طول الركوع في الصلاة، يعني امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَمْرُؤُا أَتَتْهُ لِرَبِّكِ﴾.

قال الحسن: يعني عبدى لربك، ﴿وَأَسْبُجِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرِّكْبَاتِ﴾ أى كونى منهم وقال الأوزاعي: ركبت في محرابها راكعة وساجدة وقائمة، حتى نزل الماء الأصفر في قدميها رضى الله عنها وأرضاها. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكديمي، وفيه مقال: حدثنا على بن بحر بن برى، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، في قوله ﴿يَمْرُؤُا أَتَتْهُ لِرَبِّكِ وَأَسْبُجِي﴾ قال: سجدت حتى نزل الماء الأصفر في عينيها.

(١) لم أقف على إسناد هذه الرواية التي تحدد العدد بثلاث، وانظر الحديث الذي بعده والذي يليه.

(٢) في التفسير (٣٩٧/٦).

(٣) البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١)، والترمذي (١٨٣٥)، وابن ماجه (٣٢٨٠).

(٤) ابن أبي حاتم (٦٤٨/٢).

وذكر ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب، قال: كانت مريم عليها السلام، تغتسل في كل ليلة. ثم قال تعالى لرسوله بعد ما أطلعته على جلية الأمر ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أى نقصه عليك ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أى ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عنهم معاينة عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقتصروا فى شأن مريم أيهم يكفلها، وذلك لرغبتهم فى الأجر. قال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنى حجاج عن ابن جريج، عن القاسم بن أبى بزة، أنه أخبره عن عكرمة، وأبى بكر عن عكرمة، قال: ثم خرجت بها، يعنى أم مريم بمریم تحملها، فى خرقها إلى بنى الكاهن بن هارون أخى موسى عليهما السلام، قال: وهم يومئذ يلون فى بيت المقدس ما يلى الحجة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فإنى حررتها، وهى أنثى، ولا يدخل الكنيسة حائض، وأنا لا أردھا إلى بيتى، فقالوا: هذه ابنة إمامنا، وكان عمران يؤمهم فى الصلاة، وصاحب قرباننا، فقال زكريا: ادفعوها لى فإن خالتها تحتى، فقالوا: لا تطيب أنفسنا، هى ابنة إمامنا، فذلك حين اقتصروا عليها بأقلامهم التى يكتبون بها التوراة، ففرعهم زكريا فكفلها وقد ذكر عكرمة أيضا والسدى وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد، دخل حديث بعضهم فى بعض، أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن، واقتصروا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأبهم يثبت فى جزيّة الماء فهو كافلها، فألقوا أقلامهم، فاحتلمها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت ويقال إنه ذهب صاعداً يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبیهم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْتَئِثُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾﴾

هذه بشارة من الملائكة لمریم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْتَئِثُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أى بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أى يقول له: كن فيكون، وهذا تفسير قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ آتَمٍ﴾ [آل عمران: ٣٩] كما ذكر الجمهور على ما سبق بيانه ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أى يكون مشهوراً بهذا فى الدنيا، ويعرفه المؤمنون بذلك وسمى المسيح، قال بعض السلف: لكثرة سياحته. وقيل: لأنه كان مسيح القدمين، لا أخصص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوى العاهات برئ، بإذن الله تعالى.

وقوله -تعالى-: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبة إلى أمه حيث لا أب له. ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أى له وجهة ومكانة عند الله فى الدنيا بما يوحىه الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به، وفى الدار الآخرة يشفع عند الله فىمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولى العزم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهَلًا أَي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره، معجزة وآية، وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه بذلك ﴿وَمِنَ الْكَلْبِيعَاتِ﴾ أى فى قوله وعمله، له علم صحيح وعمل صالح .

قال محمد بن إسحاق: عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن محمد بن شرحبيل، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «ما تكلم مولود فى صغره إلا عيسى وصاحب جريج» وقال ابن أبى حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة، حدثنا الحسين بن المروزي، حدثنا جرير بن عيسى بن أبى حازم، عن محمد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى، وصبي كان فى زمن جريج، وصبي آخر» فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل، قالت فى مناجاتها ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ تقول كيف يوجد هذا الولد منى وأنا لست بذات زوج، ولا من عزمى أن أتزوج، ولست بغيا حاشا لله؟ فقال لها الملك عن الله عز وجل فى جواب ذلك السؤال ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أى هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء .

وصرح ههنا بقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ولم يقل: يفعل، كما فى قصة زكريا، بل نص ههنا على أنه يخلق لثلا يبقى لمبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿إِذَا صَوَّىٰ أَمْرًا قَالَتْما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أى فلا يتأخر شيئا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القدر: ٥٠] أى إنما نأمر مرة واحدة لا مثوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعا كالمح بالبصر .

﴿وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ١٠١ ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ طَيْرًا فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنحِي الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنثِيكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٠٢ ﴿وَمُعَدِّيًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْقُضُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ ١٠٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ١٠٤

يقول تعالى مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام: أن الله يعلمه ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، الظاهر أن المراد بالكتاب ههنا الكتابة، والحكمة تقدم تفسيرها فى سورة البقرة، و﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، فالتوراة هو الكتاب الذى أنزل على موسى بن عمران، والإنجيل الذى أنزل على عيسى ابن مريم عليهما السلام .

وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا، وقوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى يجعله رسولا إلى بنى إسرائيل، قائلًا لهم ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وكذلك كان يفعل، يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله عز وجل، الذى جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾ قيل: أنه الذى يبصر نهارا ولا يبصر ليلا، وقيل بالعكس .

وقيل: الأعمى . وقيل الأعمش . وقيل: هو الذى يولد أعمى وهو أشبه، لأنه أبلغ فى المعجزة

(١) ابن أبى حاتم فى تفسيره (٢/ ٢٧٢) برقم (٥٦٣)، وأخرجه البخارى برقم (٣٤٣٦).



﴿قَالَ الْخَوَارِيزِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ اللَّهَ أَمَّنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ سُلَيْمَانَ رَجَا أُمَّتَنَا بِمَا أَرْزَكَ وَأَتَّعَنَا الرَّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِ﴾ الحواريون قيل: كانوا قصارين، وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل: صيادين. والصحيح أن الحواري الناصر، كما ثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير ثم ندبهم، فانتدب الزبير رضى الله عنه، فقال النبي ﷺ: «لكل نبي حواري، وحوارى الزبير».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله ﴿فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِ﴾ قال: مع أمة محمد ﷺ، وهذا إسناد جيد. ثم قال تعالى مخبراً عن ملائكة إسرائيل، فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام، وإرادته بالسوء والصلب حين تمالثوا عليه، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافراً، أن هنا رجلاً يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك ويفسد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه، إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب، وأنه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به، نجاه الله تعالى من بينهم ورفع من روزنة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجى نبيه ورفع من بين أظهرهم وتركهم في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعناداً للحق ملازماً لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكِرِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَيْتُكَ وَرَأَيْتُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾.

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي فَتَوَيْتُكَ وَرَأَيْتُكَ﴾ فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره إنى رافعتك إلى ومتوفيتك، يعنى بعد ذلك. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنِّي فَتَوَيْتُكَ﴾، أى مميتك. وقال محمد بن إسحاق عن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، قال ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات، ثم أحياه. وقال إسحاق بن بشر، عن إدريس عن وهب: أماته الله ثلاثة أيام، ثم بعثه، ثم رفعه. وقال مطر الوراق: إنى متوفيتك من الدنيا، وليس بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه، وقال الأكثرون: المراد بالوفاة ههنا - النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَمَلُّكُمْ مَآجِرَ حَتَّىٰ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] الآية.

(١) البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥) من حديث جابر رضى الله عنه.

وقال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَكَّلُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أُمَّتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٢] الآية، وكان رسول الله ﷺ، يقول إذا قام من النوم: «الحمد لله الذي أحبانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»<sup>(١)</sup> الحديث، وقال تعالى: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ يَقُولُهُمْ عَلَىٰ مَرِيضٍ مِّمَّنَّا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٨] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْثِقَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩] والضمير في قوله ﴿قَبْلَ مَوْثِقَةٍ﴾ [النساء: ١٥٩] عائد على عيسى عليه السلام، أي وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم، لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

وقال ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup>: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، حدثنا الربيع بن أنس، عن الحسن أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُؤَقِّبُكَ﴾ يعني وفاة المنام، رفعه الله في منامه. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ لليهود إن عيسى لم يموت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكُم مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي برفعى إياك إلى السماء ﴿وَيَجْعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْمًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهكذا وقع فإن المسيح عليه السلام، لما رفعه الله إلى السماء، تفرقت أصحابه شيئاً بعده، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله.

وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة. وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن ورد على كل فريق، فاستمروا على ذلك قريباً من ثلثمائة سنة، ثم نبخ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين، فدخل في دين النصرانية، قيل: حيلة ليفسده، فإنه كان فيلسوفاً، وقيل: جهلاً منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه، وزاد فيه ونقص منه، ووضعت له القوانين، والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة، وأحل في زمانه لحم الخنزير، وصلوا له إلى المشرق، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون، وصار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد، وبنى المدينة المنسوبة إليه، واتبعه الطائفة الملكية منهم، وهم في هذا كله قاهرون لليهود، أيدهم الله عليهم، لأنهم أقرب إلى الحق منهم، وإن كان الجميع كفاراً عليهم لعائن الله، فلما بعث الله محمداً ﷺ، فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، كانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض، إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي العربي، خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الإطلاق، الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق، فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته، مع ما قد حرفوا وبدلوا، ثم لو لم يكن شيء من ذلك، لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة، ولا

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٢٩٦) برقم (٦٤٢).

يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين، ولهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، واجتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميع الدول، وكسروا كسرى، وقصروا قيصر وسلبوهما كنوزهما، وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] ، فهذا لما كانوا هم المؤمنین بالمسيح حقاً، سلبوا النصراني بلاد الشام والجنوب إلى الروم فلجثوا إلى مدينتهم القسطنطينية، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة. وقد أخبر الصادق الصدوق عليه السلام أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية <sup>(١)</sup> ويستفيثون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً، لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها، وقد جمعت في هذا جزءاً مفرداً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْمِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَعْلَمُونَ فَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاذْبَحْتُمُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من النصراني، عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك، وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَرْوِيهِمْ أُجُورُهُمْ﴾ أي في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنات العالياً ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ .

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ <sup>(٢)</sup> أي هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره، وهو مما قاله تعالى وأوحاه إليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ، فلا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى في سورة مريم ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحٰنَهُٓ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤-٣٥] وههنا قال تعالى:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ <sup>(٣)</sup> الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكْفُرْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ <sup>(٤)</sup> فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ قَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَ كُورٍ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَ كُورٍ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمُ ثُمَّ نَبْتَلُ فَنَجْعَل لِّمَن نَّشَاءُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ <sup>(٥)</sup> إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ <sup>(٦)</sup> فَإِن قَوْلُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ <sup>(٧)</sup>

يقول جل وهلا: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ حيث خلقه من غير أب ولا أم بل ﴿خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فالذي خلق آدم من غير أب، قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى، وإن جاز ادعاء النبوة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب، فجاز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلق حين خلق آدم لا من ذكر ولا

(١) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٦٦٠٧)، وانظر الصحيحة برقم (٤).

من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم ﴿وَلِنَجْعَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١] .

وقال ههنا: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١) أى هذا هو القول الحق فى عيسى الذى لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال. ثم قال تعالى أمراً رسوله ﷺ، أن يباهل من عاند الحق فى أمر عيسى بعد ظهور البيان ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَدُو مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلِيِّ فَقُلْ تَقَالُوتًا نَدْعُ آبَاءَنَا نَدْعُ وَإِبْنَاءَنَا كَذْرًا وَسَاءَةً نَدْعُ وَنَسَاءَةً نَدْعُ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أى نحضرهم فى حال المباهلة ﴿ثُمَّ نَنْتَهِلُ﴾ أى نلتعن ﴿فَنَجْعَلُ لِمَنْتَ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ أى منا أو منكم. وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا فى وفد نجران، أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون فى عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية، فأنزل الله صدر هذه السورة ردّاً عليهم كما ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيره، قال ابن إسحاق فى سيرته المشهورة وغيره (١): قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم يؤول أمرهم إليهم وهم: العاقب واسمه عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأويس بن الحارث، وزيد، وقيس، ويزيد وابنيه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحّسن، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذى لا يصدرن إلا عن رأيه، والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكان رجلاً من العرب من بنى بكر بن وائل، ولكنه تنصر فعظمت الروم وملوكها وشرفوه، وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته فى دينهم، وقد كان يعرف أمر رسول الله ﷺ وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة، ولكن حمله جهله على الاستمرار فى النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها.

قال ابن إسحاق (٢): وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحيرات جيب أردية فى جمال رجال بنى الحارث بن كعب، قال: يقول من رأيهم من أصحاب النبى ﷺ: ما رأينا بعدهم وقدأ مثلهم: وقد حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «دعوه» فصلوا إلى المشرق، قال: فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وكذلك قول النصرانية، فهم يحتجون فى قولهم هو الله، بأنه كان يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً، وذلك كله بأمر الله. وليجعله الله آية للناس، ويحتجون على قولهم بأنه ابن الله يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم فى المهد بشيء لم يصنعه أحد من بنى آدم قبله،

(١) انظر السيرة لابن هشام (٢/٤١٢)، ودلائل النبوة لليهقي (٥/٢٨٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/٢٦٨).

(٢) السيرة لابن هشام (٢/٤١٣)، والطبرى فى تفسيره (٦/١٥١).

ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى: فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقته، ولكنه هو وعيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً - وفي كل ذلك من قولهم: قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ «أسلما» ذقالا: قد أسلما، قال: «إنكما لم تسلما فأسلما». قالوا: بلى قد أسلما قبلك. قال: «كذبتما يمتنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير». قالوا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال<sup>(١)</sup>: فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك.

فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبياً قط، فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبى ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا رضا، قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ «اتنوني العشيبة أبعث معكم القوى الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر، سلم ثم نظر عن يمينه وشماله، فجعلت أنطاول له ليرانى فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه، فقال «أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه».

قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة رضى الله عنه. وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج: أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ، فذكر نحوه، إلا أنه قال في الأشراف: كانوا اثني عشر، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق، وزيادات أخر.

وقال البخارى<sup>(٢)</sup>: حدثنا عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة رضى الله عنه، قال: جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال: أحدهما لصاحبه: لا تفعل فو الله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين» فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، فقال «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام، قال رسول الله ﷺ «هذا أمين هذه الأمة» رواه البخارى ومسلم

(٢) البخارى (٤٣٨٠).

(١) السيرة لابن هشام (٤٢٢/٢).

والترمذى والنسائى وابن ماجه <sup>(١)</sup> من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن صلة، عن حذيفة، بنحوه وقد رواه أحمد والنسائى وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق، عن صلة، عن ابن مسعود بنحوه وقال البخارى <sup>(٢)</sup>: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس، عن رسول الله ﷺ، قال «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» وقال الإمام أحمد <sup>(٣)</sup>: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقى أبو يزيد، حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزرى، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل قبحة الله، إن رأيت محمدًا يصلى عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على رقبته، قال: فقال «لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مفاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً»، وقد رواه البخارى والترمذى والنسائى <sup>(٤)</sup> من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم به، وقال الترمذى: حسن صحيح.

وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جدًا، ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة، وفيه غرابة، وفيه مناسبة لهذا المقام، قال البيهقى <sup>(٥)</sup>: حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل، قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن سلمة بن عبد يسوع، عن أبيه، عن جده، قال يونس - وكان نصرانيًا فأسلم - : إن رسول الله ﷺ، كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان «باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبى رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أذنتكم بحرب، والسلام».

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به، وذعره ذعرًا شديدًا، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأبهم ولا السيد ولا العاقب، فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟

فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لى فى أمر النبوة رأى، ولو كان فى أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأىي واجتهدت لك، فقال الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى شرحبيل فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذى أصبح من حمير، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل.

فقال له الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى عبد الله فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل

(١) البخارى (٣٧٤٥)، ومسلم (٢٤٢٠)، والترمذى (٣٧٩٦)، وابن ماجه (١٣٥).

(٢) البخارى (٤٣٨٢). (٣) فى المسند (٢٢٢٦).

(٤) صحيح: الترمذى (٣٣٤٨)، والنسائى فى الكبرى (٥١٨/٦) برقم (١١٦٨٥)، وانظر صحيح الترمذى.

(٥) دلائل النبوة للبيهقى (٣٨٢/٥، ٣٩٣).

نجران يقال له جبار بن فيض من بنى الحارث بن كعب أحد بنى الحماس، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف، فتنحى فجلس ناحية، فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح، أهل الوادي أعلاه وأسفله. وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأى أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حلالاً لهم يجرونها من حيرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وكانا معرفة لهم، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له، فأتيناها فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لعلى بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال على لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه، ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم، ثم قال «والذي بعثني بالحق، لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم». ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى، فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ «ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لى ربي في عيسى» فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ - إلى قوله - ﴿الْحَكَايَاتِ﴾ فأبوا أن يقرؤا بذلك، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: لقد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي، وإني والله أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً مبعوثاً فكنا أول العرب طعناً في عينيه ورداً عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا لأدنى العرب منهم جواراً، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلاعناه، لا يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك، فقال له صاحبه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: أرى أن أحكمه، فإنني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك، قال: فلقى شرحبيل رسول الله ﷺ، فقال له: إنى قد رأيت خيراً من ملاعتك. فقال: وما هو؟ فقال: حكمتك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز، فقال رسول الله ﷺ «لعل وراءك أحداً يثرب عليك»؟

فقال شرحبيل: سل صاحبي، فسألتهما فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل.

فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم حتى إذا كان من الغد أتوه، فكتب لهم هذا الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران - إن كان عليهم حكمه - في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم، وترك ذلك كله لهم على ألفى حلة، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة» وذكر تمام الشروط وبقية السياق.

والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع، لأن الزهري قال: كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ، وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح، وهي قوله تعالى ﴿فَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وقال أبو بكر بن مردويه<sup>(١)</sup>: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود المكي، حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر، قال: قدم على النبي ﷺ العاقب والطيب، فدعاهما إلى الملاعة فواعدها على أن يلاعنها الغداة، قال: فغددا رسول الله ﷺ، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا وأقراله بالخراج، قال: فقال رسول الله ﷺ «والذي بعثني بالحق لو قالوا: لا، لأمطر عليهم الوادي نارا» قال جابر، وفيهم نزلت ﴿تَمَّالُوا نَدْعُ آبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب «آبْنَاءَنَا» الحسن والحسين «وَنِسَاءَنَا» فاطمة.

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى، عن أحمد بن محمد الأزهرى، عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، عن داود بن أبي هند به بمعناه، ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه هكذا قال وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن المغيرة عن الشعبي مرسلًا، وهذا أصح، وقد روى عن ابن عباس والبراء نحو ذلك، ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ أى هذا الذى قصصناه عليك يا محمد فى شأن عيسى هو الحق الذى لا معدل عنه ولا محيد ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَانُتَلَّ﴾ أى عن هذا إلى غيره ﴿تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْعِدِينَ﴾ أى من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به، وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر الذى لا يفوته شىء سبحانه ويحمده ونعوذ به من حلول نعمته.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَّالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَّالُوا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة، كما قال ههنا، ثم وصفها بقوله ﴿سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أى عدل ونصف نستوى نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ لا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

(١) وأخرجه الحاكم فى المستدرک (٢/٥٩٣).

فَاعْبُدُونِ ﴿ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿ [النحل: ٣٦] ثم قال تعالى ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، قال ابن جريج : يعنى يطيع بعضنا بعضاً فى معصية الله ، وقال عكرمة : يسجد بعضنا لبعض ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أى فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة ، فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذى شرعه الله لكم . وقد ذكرنا فى شرح البخارى عند روايته من طريق الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، عن أبى سفيان فى قصته حين دخل على قيصر ، فسأله عن نسب رسول الله ﷺ ، وعن صفته ونعته وما يدعو إليه ، فأخبره بجميع ذلك على الجلية ، مع أن أبى سفيان كان إذ ذاك مشركاً ، لم يسلم بعد ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح ، كما هو مصرح به فى الحديث <sup>(١)</sup> ، ولأنه لما سأله : هل يغدر؟ قال : فقلت : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها ، قال : ولم يمكنى كلمة أزيد فيها شيئاً سوى هذه ، والغرض أنه قال : ثم جىء بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتلك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، نزلت فى وفد نجران . وقال الزهرى : هم أول من بذل الجزية ، ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح ، فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل فى جملة الكتاب ، وبين ما ذكره محمد بن إسحاق والزهرى ؟ والجواب من وجوه :

(أحدها) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين ، مرة قبل الحديبية ، ومرة بعد الفتح .  
(الثانى) يحتمل أن صدر سورة آل عمران ، نزل فى وفد نجران إلى هذه الآية ، وتكون هذه الآية ، نزلت قبل ذلك ، ويكون قول ابن إسحاق : إلى بضع وثمانين آية ، ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبى سفيان .

(الثالث) يحتمل أن قدم وفد نجران ، كان قبل الحديبية ، وأن الذى بذلوه مصالحة عن المباهلة لا على وجه الجزية ، بل يكون من باب المهادنة والمصالحة ، ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك ، كما جاء فرض الخمس والأربعة أخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش فى تلك السرية قبل بدر ، ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك .

(الرابع) يحتمل أن رسول الله ﷺ ، لما أمر بكتب هذا فى كتابه إلى هرقل ، لم يكن أنزل بعد ، ثم أنزل القرآن موافقة له ﷺ ، كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب فى الحجاب وفى الأسارى ، وفى عدم الصلاة على المنافقين ، وفى قوله : ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ﴿ [البقرة: ١٢٥] وفى قوله : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ﴾ [التحریم: ٥] الآية .

(١) البخارى (٧) ، ومسلم (١٧٧٣) .

﴿يَتَأَهَّلَ الْمُكْتَبَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٥) هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَسْلَمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٨)

ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما قال محمد بن إسحاق بن يسار (١): حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْمُكْتَبَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية، أى كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديًا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى؟ وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيًا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ الآية. هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ، لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لا يعلمون، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذى يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَسْلَمًا﴾ أى متحنفًا عن الشرك قاصدًا إلى الإيمان ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وهذه الآية كالتى تقدمت في سورة البقرة ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا يَهْتَدُوا فَلَمْ يَلَمْةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥] الآية.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبى، يعنى محمدًا ﷺ، والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم. قال سعيد بن منصور: حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن لكل نبى ولاية من النبيين، وإن ولى منهم أبى و خليل ربي عز وجل» ثم قرأ ﴿إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ الآية، وقد رواه الترمذى (٢) والبخارى من حديث أبى أحمد الزبيرى، عن سفيان الثورى، عن أبيه به، ثم قال البخارى: ورواه غير أبى أحمد، عن سفيان، عن أبيه، عن أبى الضحى، عن عبد الله، ولم يذكر مسروقًا. وكذا رواه الترمذى من طريق وكيع عن سفيان، ثم قال: وهذا أصح، لكن رواه وكيع فى تفسيره، فقال: حدثنا سفيان عن أبيه، عن أبى إسحاق، عن عبد الله بن مسعود، قال قال: رسول الله ﷺ «إن لكل نبى ولاية من النبيين، وإن ولى منهم أبى

(١) السيرة لابن هشام (٢/٢٩٣) والبيهقي في الدلائل (٥/٣٨٤).

(٢) صحيح: الترمذى (٢٩٩٥)، وأحمد (٣٧٩٠). وانظر صحيح الترمذى.

وخليل ربي عز وجل إبراهيم عليه السلام، ثم قرأ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَهْدَ النَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، قوله ﴿وَاللَّهُ وَهْدٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أى ولى جميع المؤمنين برسله .

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَو يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>٥٦</sup>  
 يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿٥٧﴾ يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ  
 بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَايَاتُ اللَّهِ أُزِيلَ عَلَى  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ  
 الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ  
 يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ يَخْنَسُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾

يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين، وبغيهم إياهم الإضلال، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم مذكور بهم، ثم قال تعالى منكراً عليهم ﴿يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾ أى تعلمون صدقها وتحققون حقها ﴿يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أى تكتُمون ما فى كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتحققونه ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَايَاتُ اللَّهِ أُزِيلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الآية، هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب فى دين المسلمين، ولهذا قالوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. وقال ابن أبى نجیح: عن مجاهد فى قوله تعالى إخباراً عن اليهود بهذه الآية، يعنى يهوداً صلت مع النبى ﷺ صلاة الصبح، وكفروا آخر النهار مكرًا منهم، ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه. وقال العوفى عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فأمئوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلمهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا، وهكذا روى عن قتادة والسدى والربيع وأبى مالك.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أى لا تطمئنوا أو تظهروا سرکم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ أى هو الذى يهدى قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد ﷺ من الآيات البينات، والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات وإن كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبى الأسمى فى كتبكم التى نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين. وقوله ﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يقولون: لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين، فيتعلموه منكم، ويساووكم فيه ويمتازوا به عليكم لشدة الإيمان به، أو يحاجوكم به عند ربكم، أى يتخذوه حجة عليكم بما فى أيديكم، فتقوم به عليكم الدلالة، وتركب الحجة فى الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ أى الأمور كلها تحت تصرفه، وهو المعطى المانع، يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصور التام، ويضل من يشاء فيعمى بصره وبصيرته، ويختم على قلبه

وسمعه، ويجعل على بصره غشاوة، وله الحجة التامة والحكمة البالغة ﴿وَاللَّهُ وَبِيعَ عَلَيْكُمْ يَخْفَىٰ يَخْفَىٰ وَمِنْ يَكْفَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أى اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء، وهداكم به إلى أكمل الشرائع.

ثلاثة

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ وَيُنْفِرُ بِأَيْدِيهِمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧١﴾﴾

الجزء

٦

يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ويحذر المؤمنون من الاغترار بهم، فإن منهم ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ﴾ أى من المال ﴿يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ﴾ أى وما دونه بطريق الأولى أن يؤديه إليك ﴿وَيُنْفِرُ بِأَيْدِيهِمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أى بالمطالبة والملازمة والإلحاح فى استخلاص حقه، وإذا كان هذا صنيعه فى الدينار فما فوقه أولى أن لا يؤديه إليك. وقد تقدم الكلام على القنطار فى أول السورة، وأما الدينار فمعروف.

وقد قال ابن أبى حاتم <sup>(١)</sup>: حدثنا سعيد بن عمرو السكوني، حدثنا بقية عن زياد بن الهيثم، حدثنا مالك بن دينار، قال: إنما سُمى الدينار لأنه دين ونار وقيل: معناه من أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله النار. ومناسب أن يذكر ههنا الحديث الذى علقه البخارى فى غير موضع من صحيحه، ومن أحسنها سياقه فى كتاب الكفالة حيث قال: وقال الليث: حدثنى جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه ذكر رجلاً من بنى إسرائيل، سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال اتنى بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً. قال: اتنى بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج فى البحر ففضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها ليقدم عليه فى الأجل الذى أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة ففقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنى استسلفت فلاناً ألف دينار فسألنى شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، وسألنى كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضى بذلك، وأنى جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذى له فلم أقدر، وإنى استودعتكها، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه لينظر لعل مركباً يجيئه بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما كسرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذى كان تسلف منه، فأتاه بألف دينار، وقال: والله ما زلت جاهداً فى طلب مركب لأتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذى أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلى بشىء؟ قال: ألم أخبرك أنى لم أجد مركباً قبل هذا، قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة، فانصرف بألف دينار راشداً <sup>(٢)</sup>، هكذا

(١) ابن أبى حاتم فى تفسيره (٣٤٦/٢) برقم (٨٠٣).

(٢) ذكره البخارى تعليقاً بصيغة الجزم عقب حديث (١٤٩٨)، ووصله البخارى، حديث (٢٠٦٣)، وأحمد (٨٣٨١).

رواه البخارى فى موضع معلقاً بصيغة الجزم، وأسنده فى بعض المواضع من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه . ورواه الإمام أحمد فى مسنده هكذا مطولاً، عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث به، ورواه البزار فى مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد، عن أبى عوانة، عن عمر بن أبى سلمة، عن أبىه، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، بنحوه، ثم قال: لا يروى عن النبى ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، كذا قال وهو خطأ لما تقدم. وقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ سَيْئٌ﴾ أى إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا فى ديننا حرج فى أكل أموال الأميمين وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا، قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أى وقد اختلقوا هذه المقالة، واثتفكوا بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت .

قال عبد الرزاق (١): أنبأنا معمر عن أبى إسحاق الهمداني، عن صعصعة بن يزيد، أن رجلاً سأل ابن عباس، فقال: إنا نصيب فى الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال: نقول ليس علينا بذلك بأس، قال هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ سَيْئٌ﴾، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم، وكذا رواه الثورى عن أبى إسحاق بنحوه. وقال ابن أبى حاتم (٢): حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا يعقوب، حدثنا جعفر عن سعيد بن جبير، قال: لما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ سَيْئٌ﴾ قال نبى الله ﷺ «كذب أعداء الله ما من شىء كان فى الجاهلية إلا وهو تحت قدمى هاتين إلا الأمانة، فإنها مؤداة إلى البر والفاجر» ثم قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْكَى يَمَّهُدُوهُ وَأَتَقَى﴾ أى لكن من أوفى بعهده واتقى منكم يا أهل الكتاب الذى عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأمهم بذلك، واتقى محارم الله، واتبع طاعته وشريعته التى بعث بها خاتم رسله وسيدهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرْحَمُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

يقول تعالى: إن الذين يتعاضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره، وعن إيمانهم الكاذبة الفاجرة الآئمة بالأثمان القليلة الزهيدة، وهى عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة ﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أى لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أى برحمة منه لهم، يعنى لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿وَلَا يُرْحَمُهُمْ﴾ أى من الذنوب والأدناس، بل يأمر بهم إلى النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة، فلنذكر منها ما تيسر .

(١) تفسير عبد الرزاق (١/١٢٣).

(٢) ضعيف: ابن أبى حاتم فى التفسير (٢/٦٨٤) برقم (٣٧١٢)، من طريق جعفر بن أبى المغيرة، وهو ليس بالقوي فروايته عن سعيد بن جبير، وأيضاً الإسناد مرسل.

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا عفان ، حدثنا شعبة ، قال على بن مدرك : أخبرني ، قال سمعت أبا زرعة عن خرشة بن الحر ، عن أبي ذر ، قال قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم» قلت : يا رسول الله ، من هم ؟ خسروا وخابوا . قال : وأعاد رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، قال «المسبل ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمنان» ، ورواه مسلم وأهل السنن<sup>(٢)</sup> من حديث شعبة به .

(طريق أخرى) قال أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا إسماعيل عن الجريري ، عن أبي العلاء بن الشخير ، عن أبي الأحمس ، قال : لقيت أباذر فقلت له : بلغني عنك أنك تحدث حديثاً عن رسول الله ﷺ ، قال : أما إنه لا يخالني أن أكذب على رسول الله ﷺ ، بعدما سمعته منه ، فما الذي بلغك عنى ؟ قلت : بلغني أنك تقول : ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يشنؤهم الله . قال : قلته وسمعته ، قلت : فمن هؤلاء الذين يحبهم الله ؟ قال : «الرجل يلقي العدو في فته فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزولون ، فيتحنى أحدهم يصلى حتى يوقفهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن» قلت : ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله ؟ قال : «التاجر الحلاف - أو قال : البائع الحلاف ، والفقير المختال ، والبخيل المنان» غريب من هذا الوجه .

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن جرير بن حازم ، حدثنا عدى بن عدى ، أخبرني رجاء بن حيوة والعرس بن عميرة ، عن أبيه عدى هو ابن عميرة الكندي ، قال : خاصم رجل من كندة ، يقال له امرؤ القيس بن عابس ، رجلاً من حضر موت إلى رسول الله ﷺ في أرض ، فقاضى على الحضرمي بالبينة ، فلم يكن له بينة فقاضى على امرئ القيس باليمين ، فقال الحضرمي : إن أمكنته من اليمين يا رسول الله ؟ ذهبت ورب الكعبة أرضى ، فقال النبي ﷺ : «من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أحد لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان» قال رجاء : وتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يا رسول الله ؟ فقال «الجنة» . قال : فاشهد أنى قد تركتها له كلها ، ورواه النسائي من حديث عدى بن عدى به ،

(الحديث الثالث) قال أحمد<sup>(٥)</sup> : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «من حلف على يمين هو فيها فاجر ، ليقطع بها مال امرئ مسلم ، لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان» . فقال الأشعث : في والله كان ذلك كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدي ، فقدمته إلى رسول الله ﷺ فقال لى رسول الله ﷺ : «ألك بينة؟ قلت : لا . فقال لليهودى : احلف . فقلت : يا رسول الله ، إذا يحلف فيذهب مالى . فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ

(١) في المسند (٢٠٨١١) .

(٢) مسلم (١٠٦) ، وأبو داود (٤٠٨٧) ، والترمذي (١٢١١) ، والنسائي (٢٥٦٤) ، وابن ماجه (٢٢٠٨) .

(٣) في المسند (٢٠٨٣٣) .

(٤) في المسند (١٧٢٦٣) .

(٥) صحيح : في المسند (٣٥٨٦) .

وَأَيَّمَنِيْمَ تَمَنَّا قَلِيْلًا ﴿١﴾ الآية أخرجاه من حديث الأعمش .

(طريق أخرى) قال أحمد <sup>(١)</sup>: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن شقيق بن سلمة، حدثنا عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ «من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق، لقي الله وهو عليه غضبان» قال: فجاء الأشعث بن قيس، فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ فحدثناه، فقال: في كان هذا الحديث، خاصمت ابن عم لى إلى رسول الله ﷺ فى بشر كانت لى فى يده فمجدنى، فقال رسول الله ﷺ «بينتك أنها بشرك وإلا فيمينه» قال: قلت: يا رسول الله، ما لى بينة، وإن تجعلها يمينه تذهب بشرى، إن خصمى امرؤ فاجر، فقال رسول الله ﷺ «من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق، لقي الله وهو عليه غضبان» قال: وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِمَهْدِ اللَّهِ وَأَيَّمَنِيْمَ تَمَنَّا قَلِيْلًا﴾ الآية .

(الحديث الرابع) قال أحمد <sup>(٢)</sup>: حدثنا يحيى بن غيلان، قال: حدثنا رِشدين عن زياد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ، قال «إن لله تعالى عباداً لا يكلمهم يوم القيامة، ولا يزيكهم، ولا ينظر إليهم» قيل: ومن أولئك يا رسول الله؟ قال «متبرئ من والديه راغب عنهما، ومتبرئ من ولده، ورجل أنعم عليه قوم، فكفر نعمتهم وتبرأ منهم» .

(الحديث الخامس) قال ابن أبي حاتم <sup>(٣)</sup>: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا هشيم، أنبأنا العوام يعنى ابن حوشب، عن إبراهيم بن عبد الرحمن يعنى السكسكى، عن عبد الله بن أبى أوفى، أن رجلاً أقام سلعة له فى السوق، فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط، ليقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِمَهْدِ اللَّهِ وَأَيَّمَنِيْمَ تَمَنَّا قَلِيْلًا﴾ الآية، ورواه البخارى <sup>(٤)</sup> من غير وجه عن العوام . (الحديث السادس) قال الإمام أحمد <sup>(٥)</sup>: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم: رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده، ورجل حلف على سلعة بعد العصر، يعنى كاذباً، ورجل بايع إماماً فإن أعطاه وفى له وإن لم يعطه لم يف له» ورواه أبو داود والترمذى <sup>(٦)</sup> من حديث وكيع، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح .

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيْقًا يَلُوْنُ آلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوْهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُوْنَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ﴿٣٧﴾﴾  
يعبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله، أن منهم فريقاً يحرفون الكلم عن مواضعه، ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به، ليوهموا الجهلة أنه فى كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا فى ذلك كله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ﴾ .

(١) فى المسند (٣١٣٤١) .

(٢) فى المسند (١٥٢٠٩) .

(٣) ابن أبى حاتم (٦٨٦/٢) برقم (٣٧٢٢) .

(٤) البخارى (٤٥٥١) .

(٥) صحيح: فى المسند (٩٨٦٦)، وانظر صحيح الجامع برقم (٣٠٦٨) .

(٦) صحيح: أبو داود (٣٤٧٤)، والترمذى (١٥٩٥)، وانظر صحيح أبى داود .

وقال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن أنس. ﴿يَلُونُ أَلْسِنَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يحرفونه، وهكذا روى البخارى عن ابن عباس أنهم يحرفون ويزيدون، وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله، لكنهم يحرفونه ويتأولونه على غير تأويله وقال وهب بن منبه: إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فأما كتب الله فإنها محفوظة لا تحول رواه ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup>، فإن عنى وهب ما بأيديهم من ذلك، فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة ونقصان وهم فاحش، وهو من باب تفسير المعرب المعبر وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد وأما إن عنى كتب الله التى هى كتبه من عنده فتلك كما قال: محفوظة لم يدخلها شىء.

﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُكَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلنَّفْسِ وَالْوَالِدَيْنِ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup>: حدثنا محمد بن أبى محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظى: حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس: أوداك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا؟ أو كما قال: فقال رسول الله ﷺ «معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى» أو كما قال ﷺ: فأنزل الله فى ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩] أى ما ينبغى لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوّة، أن يقول للناس اعبدونى من دون الله، أى مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا مرسل، فلتلا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى ولهذا قال الحسن البصرى: لا ينبغى هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، قال: وذلك أن القوم كانوا يعبد بعضهم بعضاً، يعنى أهل الكتاب كانوا يعبدون أبحارهم وربهانهم، كما قال الله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَكُمْ وَرَبِّكُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية [التوبة: ٣١]، وفى المسند والترمذى<sup>(٣)</sup> كما سياتى أن عدى بن حاتم قال: يا رسول الله ما عبدوهم. قال «بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» فالجهلة من الأبحار والرهبان ومشايخ الضلال

(١) ابن أبي حاتم فى تفسيره (٢/٣٦١).

(٢) السيرة لابن هشام (٢/٣٩٥)، والطبري فى تفسيره (٦/٥٣٩).

(٣) حسن: الترمذى (٣٠٩٥)، وانظر غاية المرام برقم (٦).

يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به، وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهاهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة، فقاموا بذلك أتم القيام، ونصحوا الخلق، وبلغوهم الحق، وقوله: ﴿وَلَكِنْ كُؤُورًا رَّيْبِيحًا يَمَا كُنْتُمْ تُكْمِلُونَ الْكُتُبَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أى ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين، قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد: أى حكماء علماء حلماء .

وقال الحسن وغير واحد: ففهاء وكذا روى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة وعطاء الخراساني وعطية العوفى والربيع بن أنس وعن الحسن أيضًا: يعنى أهل عبادة وأهل تقوى، وقال الضحاك فى قوله: ﴿يَمَا كُنْتُمْ تُكْمِلُونَ الْكُتُبَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً ﴿تُكْمِلُونَ﴾ أى تفهمون معناه، وقرئ ﴿تُكْمِلُونَ﴾ بالتشديد من التعليم ﴿وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ تحفظون ألفاظه، ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْكَفَّةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ أى ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله: لا نبى مرسل ولا ملك مقرب ﴿أَيَأْمُرْكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] أى لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر .

والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الانبيا: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] الآية، وقال ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٥] وقال إخبارًا عن الملائكة ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَنُجَزِيَهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَاطِلِينَ﴾ [الانبيا: ٢٩] .

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٧﴾

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبى بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أى مبلغ، ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وتقدس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ أَى لمهما أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة والسدى يعنى عهدى وقال محمد بن إسحاق (إصرى) أى ثقل ما حملتم من عهدى أى ميثاقى الشديد المؤكد ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أى عن هذا العهد والميثاق ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . قال على بن أبى طالب وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمدًا ﷺ وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وقال طاوس والحسن البصرى وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا، وهذا لا يصاد ما

قاله على وابن عباس ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه، ولهذا روى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، مثل قول على وابن عباس، وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني مرت بأخ لي يهودى من قريظة، فكتب لى جوامع من التوراة ألا تعرضها عليك؟ قال، فتغير وجه رسول ﷺ قال عبد الله بن ثابت، قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، قال: فسرى عن النبي ﷺ وقال «والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام، ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتكم، إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين».

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى<sup>(٢)</sup>: حدثنا إسحاق حدثنا حماد عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى». وفى بعض الأحاديث «لو كان موسى وعيسى حيين لما سمعهما إلا اتباعى» فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، هو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر وجد، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا بيت المقدس، وكذلك هو الشفيح فى المحشر فى إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده، وهو المقام المحمود الذى لا يليق إلا له، والذى يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهى التوبة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتُغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

يقول تعالى منكراً على من أراد ديناً سوى دين الله الذى أنزل به كتبه، وأرسل به رسله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى استسلم له من فيهما طوعاً وكرهاً، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمُ الْآسَافُ﴾ الآية [الرمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعَتُهُمْ ظُلْمَةً عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاهِرُونَ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْنِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٨-٥٠] فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهاً، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذى لا يخالف ولا يمانع، وقد ورد حديث فى تفسير هذه الآية على معنى آخر فيه غرابة.

(١) حسن: فى المسند (١٥٤٣٧)، وانظر الإرواء، برقم (١٥٨٩).

(٢) البزار كما فى كشف الأستار (٧٨/١-٧٩) حديث (١٢٤)، وأبو يعلى (١٠٢/٤)، برقم (٢١٣٥).

فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني (١): حدثنا أحمد بن النضر العسكري، حدثنا سعيد بن حفص النفيلي، حدثنا محمد بن محسن العكاشي، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، عن النبي ﷺ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، «أما من في السموات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما كرهاً فمن أتى به من سبابا الأمم في السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون» .

وقد ورد في الصحيح «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل» (٢) وسيأتي له شاهد من وجه آخر، ولكن المعنى الأول للآية أقوى، وقد قال وكيع في تفسيره، حدثنا سفيان عن منصور، عن مجاهد ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: هو كقوله ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال أيضاً: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: حين أخذ الميثاق، ﴿وَلِإِيَّاهُ يُجْعَلُونَ﴾ أي يوم المعاد فيجازى كلًا بعمله ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَّا بِلَهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا سُبُورٌ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ﴾ أي من الصحف والروحى، ﴿وَالْأَنْبِيَاءُ﴾ وهم بطون بنى إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل - وهو يعقوب - الاثنى عشر، ﴿وَمَا أَوْفَى مَوْثِقَ وَعِيسَى﴾ يعني بذلك التوراة والإنجيل، ﴿وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يعني: بل نؤمن بجميعهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل، وبكل كتاب أنزل، لا يكفرون بشيء من ذلك، بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله، وبكل نبي بعثه الله. ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الآية، أي من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله، فلن يقبل منه ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (٣). وقال الإمام أحمد (٤): حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم، حدثنا عباد بن راشد، حدثنا الحسن، حدثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة، قال: قال رسول الله ﷺ «تجئ الأعمال يوم القيامة، فتجئ الصلاة فتقول: يا رب، أنا الصلاة فيقول إنك على خير وتجئ الصدقة فتقول: يا رب، أنا الصدقة فيقول إنك على خير، ثم تجئ الصيام فيقول: يا رب، أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجئ الأعمال كل ذلك يقول الله تعالى: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب، أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله تعالى: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطى، قال الله في كتابه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ تفرد به أحمد، قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد: عباد بن راشد ثقة، ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(١) المعجم الكبير (١١/١٩٤) برقم (١١٤٧٣). وقال الهيثمي في المجمع (٦/٩٢٣): رواه الطبراني، وفيه محمد بن محسن العكاشي وهو متروك.

(٢) البخاري (٣٠١٠)، وأبو داود (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ضعيف: في المسند (٨٥٢٥). وانظر مشكاة المصابيح (٥٢٢٤).

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٧) أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٣٨﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾

قال ابن جرير (١) : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصري حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا لي رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم، وهكذا رواه النسائي والحاكم وابن حبان (٢) من طريق داود بن أبي هند به .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال عبد الرزاق (٣) : أنبأنا جعفر بن سليمان، حدثنا حميد الأعرج، عن مجاهد، قال : جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قال : فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث : إنك - والله ما علمت - لصدوق، وإن رسول الله لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة، قال : فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه، فقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ أى قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول، ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعدما تلبسوا به من العماية؟، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثم قال تعالى ﴿ أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٤٧) أى يلعنهم الله، ويلعنهم خلقه، ﴿ خَلِيلِينَ فِيهَا ﴾ أى فى اللعنة، ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ أى لا يفتتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤٠) وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه أن من تاب إليه، تاب عليه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأَوْلَيْكَ هُمْ الضَّالُّونَ ﴾ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ نُقَبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ يَلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَقْتَدَى بِوَجْهِهِمْ وَأَوْلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى متوعداً ومهدداً لمن كفر بعد إيمانه، ثم ازداد كفراً، أى استمر عليه إلى الممات، ومخبراً بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات، كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

(١) الطبرى فى التفسير (٣/ ٣٤٠).

(٢) صحيح : النسائي (٤٠٦٨) الحاكم فى المستدرک (٢/ ١٥٤) برقم (٢٦٢٨)، وانظر الصحيحة برقم (٣٠٦٦).

(٣) عبد الرزاق فى تفسيره (١/ ١٢٥).

السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كَمَا أُؤْتِيكَ أَعْتَدْنَا لَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا [النساء: ١٨] ، ولهذا قال ههنا ﴿أَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ﴾ أى الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغي ، قال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(١)</sup> : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن قومًا أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا ، فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا أَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ وهكذا رواه ، وإسناده جيد ، ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُبْسَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ﴾ أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدا .

ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًا فيما يراه قربة ، كما سئل النبي ﷺ عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف ويفك العاني ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال «لا ، إنه لم يقل يومًا من الدهر : ربي اغفر لى خطيئتي يوم الدين»<sup>(٢)</sup> وكذلك لو افتدى بملء الأرض ذهبًا ما قبل منه ، كما قال تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] وقال ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١] ، وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَعْدِنِ لِيَقْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَكَمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦] . ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُبْسَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ﴾ فعطف ﴿وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ﴾ به على الأول ، فدل على أنه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال : أن الواو زائدة ، والله أعلم ، ويقضى ذلك ألا ينقذه من عذاب الله شيء ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهبًا ، ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبًا ، بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها ، وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا حجاج ، حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ ، قال «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : رأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء ، أكنت مفتديًا به؟ قال : فيقول : نعم ، فيقول الله : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك فى ظهر أهلك آدم أن لا تشرك بى شيئًا ، فأبيت إلا أن تشرك» وهكذا أخرجه البخارى ومسلم<sup>(٤)</sup> .

(طريق أخرى) وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدثنا روح ، حدثنا حماد عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له : يا ابن آدم ، كيف وجدت منزلك؟ فيقول : أى رب خير منزل ، فيقول : سل وتمن ، فيقول : ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرار ، لما يرى من فضل الشهادة ، ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له : يا ابن آدم ، كيف وجدت منزلك؟ فيقول : يا رب شر منزل ، فيقول له : تمتدى منى بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول : أى رب نعم ، فيقول : كذبت ، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل ، فيرد إلى النار» ، ولهذا قال

(١) ذكره السيوطي فى الدر المنثور (٢/٨٨) ، وعزاه إلى البزار .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٤) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) فى المسند (١١٨٨٠) . (٤) البخارى (٣٣٣٤) ، ومسلم (٢٨٠٥) .

(٥) فى المسند (١٢٧٥٠) ، وقد أخرجه مسلم بنحوه برقم (١٨٧٧) .

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ أى وما لهم من أحد يتقدمهم من عذاب الله ولا يجيرهم من اليم عقابه .

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْهتُهُ عَلَيْهِ﴾ (١١)

روى وكيع فى تفسيره عن شريك، عن أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ قال: الجنة، وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا روح، حدثنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، سمع أنس بن مالك، يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبى ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾، وإن أحب أموالى إلى بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برزها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبى ﷺ، «بخ بخ ذاك مال رايح، ذاك مال رايح، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها فى الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه، أخرجاه، وفى الصحيحين<sup>(٢)</sup> أن عمر قال يا رسول الله لم أصب مالا قط هو أنفس عندى من سهمى الذى هو بخبير، فما تأمرنى به؟ قال: احبس الأصل وسبل الشجرة وقال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(٣)</sup>: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسانى، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبى عمرو بن حماس، عن حمزة بن عبد الله بن عمر، قال: قال عبد الله: حضرتنى هذه الآية ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ فذكرت ما أعطانى الله، فلم أجد شيئا أحب إلى من جارية لى رومية، فقلت: هى حرة لوجه الله، فلو أنى أعود فى شىء جعلته لله لنكحتها، يعنى تزوجتها .

جزء ٤  
حزب  
٧  
﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٢) ﴿فَمَنْ أَفْرَأَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٣) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤)

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>: حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا عبد الحميد، حدثنا شهر، قال: قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبى الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسالك عنهن لا يعلمن إلا نبى، قال: «سلونى عما شئتم، ولكن اجعلوا لى ذمة الله، وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن أنا حدثكم شيئا فمرفتموه لتتابعنى على الإسلام» قالوا: فذلك لك، قال: فسلونى عما شئتم . قالوا: أخبرنا عن أربع خلال: أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا كيف هذا النبى الأمى فى النوم، ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم المهد لئن أخبرهم ليأبىعنه، فقال: أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه، فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه، وكان

(١) فى المسند (١٢٠٣٠) .

(٢) البخارى (٢٧٦٤)، ومسلم (١٦٣٣) .

(٣) كشف الأستار، برقم (٢٩١٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (٣٢٩/٦): رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

(٤) فى المسند (٢٥١٠) .

أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه البانها؟ فقالوا: اللهم نعم: قال: «اللهم اشهد عليهم». وقال: «أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد، والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله؟ قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد عليهم». وقال: «أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي الأمامي تنام عيناه، ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: «اللهم اشهد» قالوا: وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نجتمعك ونفارقك قال: «إن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه، قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك غيره لتابعناك، فعند ذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية [البقرة: ٩٧]، ورواه أحمد أيضاً عن حسين بن محمد عن عبد الحميد به،

(طريق أخرى) قال أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا أبو أحمد الزبيرى، حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي، عن بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا يا أبا القاسم، إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال ﴿اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦] قال: «هاتوا» قالوا: أخبرنا عن علامة النبي قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه»، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة، وكيف تذكر؟ قال: «يلتقى الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة، أذكرت، وإذا علا ماء المرأة أنثت» قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: كان يشتكى عرق النساء، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا البان كذا وكذا - قال أحمد: قال بعضهم: يعنى الإبل - فحرم لحومها» قالوا: صدقت، قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده - أو فى يديه - مخراق من نار يزر به السحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل» قالوا: فما هذا الصوت الذى يسمع؟ قال «صوته». قالوا صدقت، إنما بقيت واحدة، وهى التى نتابعك إن أخبرتنا بها، إنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريل عليه السلام»، قالوا: جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطر، لكان، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] والآية بعدها، وقد رواه الترمذى والنسائى<sup>(٢)</sup>، من حديث عبد الله بن الوليد العجلي به نحوه. وقال الترمذى: حس غريب. وقال ابن جريج والعمري عن ابن عباس: كان إسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - يعتريه عرق النساء بالليل، وكان يقلقه ويزعجه عن النوم، ويقلع الوجع عنه بالنهار، فنذر لله لئن عافاه الله لا يأكل عرقاً ولا يأكل ولد ما له عرق، وهكذا قال الضحاك والسدى، كذا رواه وحكاه ابن جرير فى تفسيره، قال: فاتبعه بنوه فى تحريم ذلك استثناءً به واقتداءً بطريقه، قال: وقوله ﴿مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ التَّوْرَةَ﴾ أى حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، قلت: ولهذا السياق بعدما تقدم مناسبتان:

(إحداهما) أن إسرائيل عليه السلام حرم الأشياء إليه وتركها لله، وكان هذا سائغاً فى

(١) فى المسند (٢٤٧٩).

(٢) صحيح: الترمذى (٣١١٧)، والنسائى فى الكبرى (٣٣٦/٥) برقم (٩٠٧٢)، وانظر صحيح الترمذى.

شريعتهم فله مناسبة بعد قوله ﴿لَنْ نَأْتِيَ آلَ الْبِرِّ حَتَّىٰ تُفِقُوا مِمَّا جُنُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٩٢] فهذا هو المشروع عندنا، وهو الإنفاق في طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَقَىٰ أَلْمَالُ عَلَىٰ حُجَّتِهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى: ﴿وَيُطْمِئِنُّ الْقَلْعَمَ عَلَىٰ حُجَّتِهِ﴾ [الإنسان: ٨] الآية.

(المناسبة الثانية) لما تقدم بيان الرد على النصارى، واعتقادهم الباطل في المسيح وتبيين زيف ما ذهبوا إليه وظهور الحق واليقين في أمر عيسى وأمه، كيف خلقه الله بقدرته ومشيته وبعثه إلى بني إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه تبارك وتعالى، شرع في الرد على اليهود فبحهم الله تعالى وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع، فإن الله تعالى قد نص في كتابهم التوراة أن نوحاً عليه السلام لما خرج من السفينة، أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحمان الإبل والبانها فاتبعه بنوه في ذلك، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وأشياء أخرى زيادة على ذلك، وكان الله عز وجل قد أذن لأدم في تزويج بناته من بنيه، وقد حرم ذلك بعد ذلك، وكان التسرى على الزوجة مباحاً في شريعة إبراهيم عليه السلام، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم، وكذلك كان الجمع بين الأختين سائغاً، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين، ثم حرم عليهم ذلك في التوراة، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم، وهذا هو النسخ بعينه، فكذلك فليكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام، في إحلاله بعض ما حرم في التوراة، فما بالهم لم يتبعوه؟ بل كذبوه وخالفوه؟ وكذلك ما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين القويم، والصراط المستقيم، وملة أبيه إبراهيم، فما بالهم لا يؤمنون؟ ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُّ الظَّالِمِ كَانَ جَلًّا لِّيَّيَّ إِسْرَؤِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَؤِيلَ عَلَىٰ نَفْسِهِ. مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ أي كان حلالاً لهم، جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرمه إسرائيل، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فإنها ناطقة بما قلناه ﴿فَمَنْ أَفَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائماً، وأنه لم يبعث نبياً آخر يدعو إلى الله بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرناه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ أي قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه في القرآن، ﴿فَأَتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية، وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُهُ رَبِّيَ إِذْ كَانَ صَرِيحًا مُسْتَجِيرًا وَمِمَّا يَتْلُو بَيْنَ يَدَيْهِ رَبِّيَ إِذْ كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التحل: ١٢٣].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ فيه آياتٌ بينتُ مقامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَىٰ سَبِيلٍ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَنِّ الْعَالَمِينَ﴾

يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به، ويصلون إليه، ويعتكفون عنده ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل

من طائفتي النصراني واليهود أنهم على دينه ومنهجه، ولا يحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجه، ولهذا قال تعالى: ﴿مُبَارَكًا أَي وَضِعَ مِبَارِكًا وَهُدًى لِّلْمَلَكِينَ﴾ وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا سفيان عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضى الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال «المسجد الحرام». قلت: ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أى؟ قال: «ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد» وأخرجه البخارى ومسلم<sup>(٢)</sup> من حديث الأعمش به. وقال ابن أبى حاتم<sup>(٣)</sup>: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا سعيد بن سليمان، عن شريك، عن مجالد، عن الشعبي، عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ قال: كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله. وحدثنا أبى، حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعر، قال: قام رجل إلى على رضى الله عنه، فقال: ألا تحدثنى عن البيت، أهو أول بيت وضع فى الأرض؟ قال: لا، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، وذكر تمام الخبر فى كيفية بناء إبراهيم البيت، وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى أول سورة البقرة فأغنى عن إعادته هنا، وزعم السدى أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقاً، والصحيح قول على رضى الله عنه. فأما الحديث الذى رواه البيهقى<sup>(٤)</sup> فى بناء الكعبة فى كتابه دلائل النبوة من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً «بعث الله جبريل إلى آدم وحواء، فأمرهما ببناء الكعبة، فبناه آدم، ثم أمر بالطواف به، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت وضع للناس» فإنه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف والأشبه. والله أعلم، أن يكون هذا موقوفاً على عبد الله بن عمرو، ويكون من الزامتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بكة من أسماء مكة على المشهور، قيل: سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجباة بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل: لأن الناس يتباكون فيها أى يزدحمون. قال قتادة: إن الله بك به الناس جميعاً، فيصلى النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها، وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان. وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: مكة من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء، وقال شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم: بكة البيت والمسجد، وكذا قال الزهرى. وقال عكرمة، فى رواية، وميمون بن مهران: البيت وما حوله بكة، وما وراء ذلك مكة. وقال أبو صالح وإبراهيم النخعى وعطية العوفى ومقاتل بن حيان: بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة، وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون، وأم رجم، وأم القرى، وصلاح، والعرش على وزن بدر،

(١) المسند (٢٠٨٢٦).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٣) ضعيف: ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٠٢/٢) برقم (٩٦٢)، فيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف.

(٤) ضعيف: البيهقى فى دلائل النبوة (٤٥/٢).

والقادس لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة، والناسة بالنون، وبالباء أيضاً والحاطمة، والناسة، والرأس، وكوناء والبلدة، والبنية، والكعبة.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أى دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرفه، ثم قال تعالى: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعنى الذى لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران، حيث كان يقف عليه ويناوله إسماعيل، وقد كان ملتصقاً بجدار البيت حتى آخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى إمارته إلى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه، ولا يشوشون على المصلين عنده بعد الطواف، لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده حيث قال: ﴿وَأَخْبِرُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُمَسِّلِينَ﴾ [البقرة: 125] وقد قدمنا الأحاديث فى ذلك فأغنى عن إعادتها ههنا، ولله الحمد والمنة. وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أى فمنهنَّ مقام إبراهيم والمشعر. وقال مجاهد: أثر قدميه فى المقام آية بيّنة، وكذا روى عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقال أبو طالب فى قصيدته اللامية المشهورة:

وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

وقال ابن أبى حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا أبو سعيد وعمرو الأودى، قالوا: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، فى قوله تعالى: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال: الحرم كله مقام إبراهيم، ولفظ عمرو: الحجر كله مقام إبراهيم، وروى عن سعيد بن جبيرة أنه قال: الحجج مقام إبراهيم هكذا رأيت فى النسخة، ولعله الحجر كله مقام إبراهيم، وقد صرح بذلك مجاهد. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يعنى حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء، وكذلك كان الأمر فى حال الجاهلية، كما قال الحسن البصرى وغيره: كان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفة ويدخل الحرم، فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج.

وقال ابن أبى حاتم<sup>(٢)</sup>: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى التيمي، عن عطاء، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال: من عاد بالبيت أعاده البيت، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى، فإذا خرج أخذ بذنبه، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آمِنًا وَيَسْخَطُونَ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [المنكوت: ٦٧] الآية، وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [فريش: ٣-٤] وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتفغيره عن أوكاره، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها، كما ثبتت الأحاديث والآثار فى ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً. فى الصحيحين<sup>(٣)</sup> واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة «لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» وقال يوم الفتح افتح مكة «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله، إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى، ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله

(١) ابن أبى حاتم فى التفسير (٤١٤/٢)، برقم (١٠٠١).

(٢) ابن أبى حاتم (٤١٤/٢ - ٤١٥) برقم (١٠٠٤).

(٣) البخارى (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣).

إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم، فقال «إلا الإذخر»<sup>(١)</sup>، ولهما عن أبي هريرة مثله أو نحوه، ولهما واللفظ لمسلم أيضًا عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناني ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب»<sup>(٢)</sup>. فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيًا، ولا فارقًا بدم، ولا فارقًا بخزنية، وعن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح» رواه مسلم<sup>(٣)</sup>. وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف بالحزونة بسوق مكة، يقول «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت». رواه الإمام أحمد، وهذا لفظه، والترمذي والنسائي وابن ماجه<sup>(٤)</sup>.

وقال الترمذي: حسن صحيح، وكذا صحح من حديث ابن عباس نحوه وروى أحمد عن أبي هريرة نحوه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا بشر بن آدم ابن بنت أضر السمان، حدثنا أبو عاصم، عن زريق بن مسلم الأعمى مولى بنى مخزوم، حدثني زياد بن أبي عياش، عن يحيى بن جعدة بن هبيرة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال: آمنا من النار. وفي معنى هذا القول الحديث الذي رواه البيهقي<sup>(٥)</sup>: أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن سليمان الواسطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا ابن المؤمل عن ابن محيصن، عن عطاء، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «من دخل البيت دخل في حسنة، وخرج من سيئة، وخرج مغفورًا له» ثم قال: تفرد به عبد الله بن المؤمل، وليس بالقوى. وقوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِمَّنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ هذه آية وجوب الحج عند الجمهور. وقيل: بل هي قوله ﴿وَأَيُّهَا النَّاسُ حِجُّ الْبَيْتِ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والأول أظهر. وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعًا ضروريًا، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع.

قال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> رحمه الله: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الربيع بن مسلم القرشي، عن

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم (١٣٥٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح: أحمد (١٨٢٤٠)، والترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، وانظر صحيح ابن ماجه.

(٥) ضعيف: البيهقي في السنن الكبرى (١٥٨/٥) برقم (٩٥٠٦).

(٦) في المسند (١٠٢٢٩).

محمد بن زياد، عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»، ورواه مسلم<sup>(١)</sup> عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون به نحوه. وقد روى سفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد بن أبي حفصة عن الزهري، عن أبي سنان الدؤلي واسمه يزيد بن أمية، عن ابن عباس رضى الله عنه، قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج» فقام الأقرع بن حابس، فقال: يا رسول الله أفى كل عام؟ فقال «لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فممن زاد فهو تطوع» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، والحاكم<sup>(٢)</sup> من حديث الزهري به، ورواه شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه. وروى من حديث أسامة بن زيد.

قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا منصور بن وردان عن علي بن عبد الأعلى، عن أبيه، عن أبي البختري، عن علي رضى الله عنه، قال: لما نزلت «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قالوا: يا رسول الله فى كل عام؟ فسكت، قالوا: يا رسول الله فى كل عام؟ قال «لا»، ولو قلت نعم لوجبت، فأنزل الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ سَعْتُمْ» [المائدة: ١٠١] وكذا رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث منصور بن وردان به، ثم قال الترمذى، حسن غريب، وفيما قال نظر، لأن البخارى قال: لم يسمع أبو البختري من علي. وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا محمد بن أبي عبيدة عن أبيه، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك، قال: قالوا: يا رسول الله، الحج فى كل عام؟ قال «لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لم تقوموا بها، ولو لم تقوموا بها، لعذبتم». وفى الصحيحين<sup>(٤)</sup> من حديث ابن جريج عن عطاء، عن جابر، عن سراقه بن مالك، قال يا رسول الله، متعتنا هذه لعامنا هذا، أم للأبد؟ قال «لا، بل للأبد». وفى رواية «بل للأبد الأبدي».

وفى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود<sup>(٥)</sup> من حديث واقد بن أبى واقد الليثى عن أبيه أن رسول الله ﷺ، قال لنسائه فى حجته «هذه ثم ظهور الحصر - يعنى ثم الزمن ظهور الحصر - ولا تخرجن من البيوت» وأما الاستطاعة فأقسام: تارة يكون الشخص مستطيعاً بنفسه، وتارة بغيره كما هو مقرر فى كتب الأحكام، قال أبو عيسى الترمذى<sup>(٦)</sup>: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا إبراهيم بن يزيد، قال: سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال قام

(١) مسلم (١٣٣٧).

(٢) أحمد (٢٣٠٤)، وأبو داود (١٧٢١)، والنسائي (٢٦٢٠)، وابن ماجه (٢٨٨٦)، والحاكم فى المستدرک (٢)

(٣٢١) برقم (٣١٥٥).

(٣) فى المسند (٩٠٧). (٤) البخارى (١٧٨٥)، ومسلم (١٢١٦).

(٥) صحيح: أبو داود (١٧٢٢)، وأحمد (٢١٣٩٨)، وانظر صحيح أبى داود.

(٦) ضعيف جداً: لكن جملة «المعج والنهج» ثبتت فى حديث آخر رواه الترمذى (٢٩٩٨).

رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من الحاج يا رسول الله؟ قال: «الشعث الثفل»، فقام آخر فقال: أى الحج أفضل يا رسول الله؟ قال: «العج والشج»، فقام آخر فقال: ما السبيل يا رسول الله؟ قال: «الزاد والراحلة»، وهكذا رواه ابن ماجه<sup>(١)</sup> من حديث إبراهيم بن يزيد وهو الخوزي، قال الترمذي: ولا نعرفه إلا من حديثه، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، كذا قال ههنا وقال فى كتاب الحج: هذا حديث حسن. لا يشك أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات سوى الخوزي هذا، وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث، لكن قد تابعه غيره.

فقال ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup>: حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي، عن محمد بن عباد بن جعفر، قال: جلست إلى عبد الله بن عمر، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: ما السبيل؟ قال «الزاد والراحلة» وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير به ثم قال ابن أبي حاتم: وقد روى عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك، وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة، ولكن فى أسانيدھا مقال كما هو مقرر فى كتاب الأحكام، والله أعلم. وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث، ورواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله عز وجل ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فقييل: ما السبيل؟ قال «الزاد والراحلة»، ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجه. وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عليه عن يونس، عن الحسن، قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فقالوا: يا رسول الله ما السبيل؟ قال «الزاد والراحلة»، ورواه وكيع فى تفسيره عن سفيان، عن يونس به.

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا الثوري، عن إسماعيل وهو أبو إسرائيل الملائي، عن فضيل، يعنى ابن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «تعجلوا إلى الحج - يعنى الفريضة - فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له». وقال أحمد أيضاً<sup>(٤)</sup>: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي، عن مهران بن أبي صفوان، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «من أراد الحج فليتعجل» ورواه أبو داود<sup>(٥)</sup> عن مسدد عن أبي معاوية الضرير به. وقد روى ابن جرير عن ابن عباس فى قوله ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع إليه سبيلاً، وعن عكرمة مولاة أنه قال: السبيل الصحة وروى وكيع بن الجراح عن أبي جناب يعنى الكلبي عن الضحاک بن مزاحم عن ابن عباس، قال ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال «الزاد والبعير» وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أى ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غنى عنه. وقال سعيد بن منصور عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عكرمة،

(٢) ابن أبي حاتم (٤٢٢/٢) برقم (١٠١٧).

(١) ابن ماجه (٢٨٩٦).

(٣) حسن: فى المسند (٢٨٦٤)، وانظر الإرواء برقم (٩٩٠).

(٥) حسن: أبو داود (١٧٣٢)، وانظر صحيح أبي داود.

(٤) فى المسند (١٩٧٤).

قال: لما نزلت ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ عِزَّ الْإِسْلَامِ وَيُنَافِلْ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] قالت اليهود: فنحن مسلمون، قال الله عز وجل: فأخصمهم فحجهم، يعنى فقال لهم النبي ﷺ «إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» فقالوا: لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد نحوه.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود، حدثنا مسلم بن إبراهيم، وشاذ بن فياض، قالوا: حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني، حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن الحارث، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «من ملك زادًا وراحلة ولم يحج بيت الله، فلا يضره مات يهوديًا أو نصرانيًا، ذلك بأن الله قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم به، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة الرازي: حدثنا هلال بن فياض، حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني، فذكره بإسناده مثله، ورواه الترمذي<sup>(١)</sup> عن محمد بن يحيى القطعي عن مسلم بن إبراهيم، عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي به، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال مجهول، والحارث يضعف في الحديث. وقال البخاري: هلال هذا منكر الحديث.

وقال ابن عدي: هذا الحديث ليس بمحفوظ. وقد روى أبو بكر الإسماعيلي الحافظ من حديث أبي عمرو الأوزاعي: حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، حدثني عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه يهوديًا مات أو نصرانيًا، وهذا إسناده صحيح إلى عمر رضي الله عنه. وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان له جدة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين.

﴿قُلْ يَتَّاهَلُ الْكُفْرَانُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِمَا نَزَّلَ اللَّهُ وَرَأَيْتَ عَلَيَّ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ يَتَّاهَلُ الْكُفْرَانُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾﴾

هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصددهم عن سبيل الله من أراد من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم، مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء، وقد توعدهم الله على ذلك، وأخبر بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول المبشر به بالتكذيب والجحود والعناد، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون، أى وسيجزئهم على ذلك ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨].

(١) ضعيف: ابن أبي حاتم (٧١٢/٣)، والترمذي (٨١٢)، وانظر ضعيف الترمذي للألباني.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٥﴾  
 وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُثَلِّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَمِدِ بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ  
 صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠٦﴾﴾

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم به من إرسال رسوله، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسْرًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] الآية، وهكذا قال وهنا ﴿إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَكَيفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُثَلِّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾، يعنى أن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه، فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلاً ونهاراً، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمُ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُم لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨] الآية بعدها. وكما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ، قال لأصحابه يوماً «أى المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟» قالوا: «الملائكة». قال: «وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟» وذكروا الأنبياء، قال «وكيف لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم؟» قالوا: «فنحن». قال «وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟» قالوا: «أى الناس أعجب إيماناً؟» قال «قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها»<sup>(١)</sup> وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه فى أول شرح البخارى، ولله الحمد، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَمِدِ بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أى ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة فى الهداية، والعمدة فى مباحة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

قال ابن أبى حاتم<sup>(٢)</sup>: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وشعبة عن زبيد اليامى، عن مرة، عن عبد الله هو ابن مسعود ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وهذا إسناد صحيح موقوف، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب، عن سفيان الثورى، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، وكذا رواه الحاكم فى مستدركه من حديث مسعر عن زبيد، عن مرة، عن ابن مسعود مرفوعاً، فذكره، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، كذا قال، والأظهر أنه موقوف، والله أعلم. ثم قال ابن أبى حاتم: وروى نحوه عن مرة

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع (٢٩٩/٨)، وقال: رواه الطبرانى فى الكبير وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

(٢) إسناده صحيح: ابن أبى حاتم (٤٤٦/٢) برقم (١٠٧٩).

الهمداني والربيع بن خُثيم وعمرو بن ميمون وإبراهيم النخعي وطاوس والحسن وقتادة وأبي سنان والسدي، نحو ذلك. وروى عن أنس أنه قال: لا يتقى الله العبد حق تقاته حتى يخزن لسانه. وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية، والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَأَنقُضْنَا اللَّهُ مَا اسْتَنقَضْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال: لم تنسخ، ولكن ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وآبائهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لمتوتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياًذاً بالله من خلاف ذلك.

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا روح، حدثنا شعبة، قال: سمعت سليمان عن مجاهد: أن الناس كانوا يظوفون بالبيت وابن عباس جالس معه محجن، فقال: قال رسول الله ﷺ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت لأمرت على أهل الأرض عيشتهم، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم؟ وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه<sup>(٣)</sup> من طرق عن شعبة به وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه﴾.

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> أيضاً: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل، ورواه مسلم<sup>(٦)</sup> من طريق الأعمش به. وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup>: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله قال: أنا عند ظن عبدي بي، فإن ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله، وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين<sup>(٨)</sup> من وجه آخر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي.

وقال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(٩)</sup>: حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي، حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت وأحسبه عن أنس، قال: كان رجل من الأنصار مريضاً، فجاءه النبي ﷺ يعوده، فوافقه

(١) في المسند (٢٧٣٠).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، والنسائي في الكبرى (٣١٣/٦) برقم (١١٠٧٠)، وابن

حبان (٥١١/١٦)، برقم (٧٤٧٠)، وانظر صحيح الجامع برقم (٥٢٥٠).

(٣) في المسند (٦٧٥٤). (٤) في المسند (١٤٠٧٢).

(٥) مسلم (٢٨٧٧). (٦) في المسند (٨٨٣٣).

(٧) البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥).

(٨) حسن: أخرجه الترمذي (٩٨٣)، والنسائي في الكبرى (٢٦٢/٦)، برقم (١٠٩٠١)، وانظر صحيح الترمذي.

السوق فسلم عليه، فقال له «كيف أنت يا فلان»؟ قال: بخير يا رسول الله، أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ «لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف»، ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان، وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديثه، ثم قال الترمذى: غريب، وقد رواه بعضهم عن ثابت مرسلًا، فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبى بشر، عن يوسف بن ماهك، عن حكيم بن حزام، قال: بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخرج إلا قائمًا، ورواه النسائى فى سننه عن إسماعيل بن مسعود عن خالد بن الحارث عن شعبة به، وترجم عليه فقال (باب كيف يخسر للسجود)، ثم ساقه مثله فقيل: معناه أن لا أموت إلا مسلمًا، وقيل: معناه أن لا أقتل إلا مقبلًا غير مدبر وهو يرجع إلى الأول.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَمِسُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ قيل ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أى بعهد الله، كما قال فى الآية بعدها ﴿صُرِّتْ عَلَيْهِمُ الرِّبَّةُ أَيَّنَّ مَا تُقْفَوُا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] أى بعهد وذمة، وقيل ﴿بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] يعنى القرآن كما فى حديث الحارث الأعور عن على مرفوعًا فى صفة القرآن «هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم».

وقد ورد فى ذلك حديث خاص بهذا المعنى، فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبرى<sup>(٢)</sup>: حدثنا سعيد بن يحيى الأموى، حدثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك بن أبى سليمان العززمى عن عطية، عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض». وروى ابن مردويه من طريق إبراهيم بن مسلم الهجرى عن أبى الأحوص، عن عبد الله رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه»، وروى من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك. وقال وكيع: حدثنا الأعمش عن أبى وائل قال: قال عبد الله: إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين. يا عبد الله هذا الطريق، هلم إلى الطريق فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله القرآن<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهى عن التفرق، والأمر بالاجتماع والاتلاف، كما فى صحيح مسلم<sup>(٤)</sup> من حديث سهيل بن أبى صالح، عن أبىه، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضًا، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك فى هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِمَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ إلى

(٢) فى التفسير (٤/٣١).

(٤) مسلم (١٧١٥).

(١) فى المسند (١٤٨٨٨).

(٣) أخرجه الدارمى فى سننه (٣٣١٧).

آخر الآية، وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداء شديدة وضغائن وإحن وذحول، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام، فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخواناً متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِخَبْرِهِ وَأَلْمَمَ بِتِلْكَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أُنْفِقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْتَمَسَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَكَذَلِكَ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣] إلى آخر الآية، وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم، فأنقذهم الله منها أن هداهم للإيمان، وقد امتن عليهم بذلك رسول الله ﷺ يوم قسم غنائم حنين، فعتب من عتب منهم، بما فضل عليهم في القسمة، بما أراه الله فخطبهم فقال «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي. وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟» فكلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمّن<sup>(١)</sup>. وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار<sup>(٢)</sup> وغيره: أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلاً من اليهود مرّ بملا من الأوس والخزرج، فسأه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه، حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتناوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأناهم فجعل يسكنهم ويقول «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضى الله عنهم. وذكر عكرمة أن ذلك نزل فيهم حين تناوروا في قضية الإفك، والله أعلم.

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾ (٣١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٢) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٣) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِهِ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٤) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعَالَمِينَ (٣٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٣٦)

يقول تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾، قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعنى المجاهدين والعلماء.

وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ ثم قال «الخير اتباع القرآن وستى»<sup>(٣)</sup> رواه ابن مردويه.

(١) البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، من حديث عبد الله بن زيد رضى الله عنه.

(٢) ابن هشام في السيرة (٥٨٨/٢)، والطبري (٢٥/٤).

(٣) ضعيف: عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٩/٢)، لى ابن مردويه عن أبي جعفر الباقر وهو منقطع، ولا شك أن المعنى صحيح لكن إثبات سنده فلا.

والمقصود من هذه الآية، أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم<sup>(١)</sup>، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وفي رواية: وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: حدثنا سليمان الهاشمي، أنبأنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان، أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسى بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» ورواه الترمذي وابن ماجه<sup>(٣)</sup> من حديث عمرو بن أبي عمرو به، وقال الترمذي: حسن، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، مع الآيات الكريمة، كما سيأتى تفسيرها في أماكنها، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَدْوٍ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الآية، ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمة الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم.

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني أزهر بن عبد الله الهوزني، عن أبي عامر عبد الله بن لحى، قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة، قام حين صلى الظهر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - معنى الأهواء - كلها في النار إلا واحدة - وهى الجماعة - وإنه سيخرج فى امتى أقوام تُجَارَى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أخرى ألا يقوم به، وهكذا رواه أبو داود<sup>(٥)</sup> عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى، كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به، وقد ورد هذا الحديث من طرق.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ معنى يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة قاله ابن عباس رضى الله عنهما، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ قال الحسن البصرى: وهم المنافقون ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وهذا الوصف يعم كل كافر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أُبَيِّنَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٦)</sup> يعنى الجنة ماكثون فيها أبدا لا يبيغون عنها حولا، وقد قال أبو عيسى الترمذي<sup>(٧)</sup> عند تفسير هذه الآية: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع عن ربيع وهو بن صبيح وحماد بن سلمة، عن أبي غالب، قال: رأى أبو أمامة رؤوسا منصوبة على درج مسجد دمشق، فقال أبو أمامة، كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير

(١) مسلم (٤٩).

(٢) في المسند (٢٢٧٩٠).

(٣) حسن: الترمذي (٢١٦٩)، وانظر صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٤) في المسند (١٦٤٩٠).

(٥) صحيح: أبو داود (٤٥٩٧)، وانظر صحيح الجامع، برقم (٢٦٤١).

(٦) حسن صحيح: الترمذي (٣٠٠٠)، وانظر صحيح الترمذي.

قتلى من قتلوه، ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية، قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعاً - حتى عد سبعا - ما حدثتكموه، ثم قال: هذا حديث حسن، وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبي غالب وأخرجه أحمد في مسنده عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبي غالب بنحوه.

وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبي ذر حديثاً مطولاً غريباً عجيباً جداً، ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ أى هذه آيات الله وحججه وبيناته تتلوها عليك يا محمد ﴿وَالْحَقِّ﴾ أى تكشف ما الأمر عليه فى الدنيا والآخرة ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أى ليس بظالم لهم بل هو الحكم، العدل الذى لا يجور، لأنه القادر على كل شىء، العالم بكل شىء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحداً من خلقه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أى الجميع ملك له وعبيد له ﴿وَلِلَّهِ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ أى هو الحاكم المتصرف فى الدنيا والآخرة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يَمْوُتُوا بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِنْ يَحْيُوا يَحْيُوا بِإِذْنِ اللَّهِ وَسُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١١﴾ صُرِّتْ عَلَيْهِمُ الدِّيلَةُ أَنْ مَّا تُفْعَلُوا إِلَّا بِحِجَابٍ مِّنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُوا بِعَصْيِنِ مِّنَ اللَّهِ وَصُرِّتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال البخارى<sup>(١)</sup>: حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان عن ميسرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضى الله عنه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعتاقهم حتى يدخلوا فى الإسلام، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفى وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يعنى خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، ولهذا قال ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا شريك، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن زوج ذرة بنت أبى لهب، عن ذرة بنت أبى لهب قالت: قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله أى الناس خير؟ قال «خير الناس أقرءوهم وأنقاهم لله، وأمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم» ورواه أحمد فى مسنده، والنسائى فى سنته، والحاكم فى مستدركه<sup>(٣)</sup>، من حديث سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة.

(١) البخارى (٤٥٥٧).

(٢) ضعيف: فى المسند (٢٦٨٨)، وانظر ضعيف الجامع، برقم (٢٨٩٧).

(٣) أحمد فى مسنده (٢٤٥٩)، والنسائى فى الكبرى (٦/٣١٣)، برقم (١١٠٧٢)، والحاكم فى المستدرک (٢/

(٣٢٣)، برقم (٣١٦٠).

والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أى خيارًا ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣].

وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ومستدرک الحاكم<sup>(١)</sup> من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأنتم أكرم على الله عز وجل» وهو حديث مشهور، وقد حسنه الترمذى، ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبى سعيد نحوه، وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل، فالعمل على منهجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه، كما قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا ابن زهير، عن عبد الله يعنى ابن محمد بن عقيل، عن محمد بن على وهو ابن الحنفية: أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: قال رسول الله «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، فقلنا يا رسول الله ما هو؟ قال «نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد وجعل التراب لى طهورًا، وجعلت أمتى خير الأمم» تفرد به أحمد من هذا الوجه، وإسناده حسن.

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> أيضًا: حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار، حدثنا ليث عن معاوية عن أبى حلبس يزيد بن ميسرة، قال سمعت أم الدرداء رضى الله عنها تقول: سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ وما سمعته يكتبه قبلها ولا بعدها يقول «إن الله تعالى يقول: يا عيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم قال: يا رب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيتهم من حلمى وعلمى». وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هنا.

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا المسعودى حدثنا بكير بن الأحنس، عن رجل، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربه عز وجل فزادنى مع كل واحد سبعين ألفًا» فقال أبو بكر رضى الله عنه: فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ومصيب من حافات البوادي.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup>: حدثنا عبد الله بن بكر السهمى، حدثنا هشام بن حسان، عن القاسم بن مهران، عن موسى بن عبيد، عن ميمون بن مهران، عن عبد الرحمن بن أبى بكر: أن

(١) حسن: أحمد في مسنده (١٩٥١٣)، والترمذى (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والحاكم في المستدرک (٤/٩٤)، برقم (٦٩٨٧). وانظر صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٢) صحيح: في المسند (٧٦٥)، وانظر الصحيحة، برقم (٣٩٣٩).

(٣) موضوع: في المسند (٢٦٩٩٧)، وانظر ضعيف الجامع برقم (٤٠٥٢).

(٤) صحيح: في المسند (٢٣). وانظر السلسلة الصحيحة (١٤٨٤).

(٥) في المسند (١٧٠٨).

رسول الله ﷺ قال «إن ربي أعطاني سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فقال عمر، يا رسول الله فهلا استزدته فقال استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً. قال عمر: فهلا استزدته؟ قال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً قال عمر: فهلا استزدته قال: «قد استزدته فأعطاني هكذا، وفرج عبد الله بن بكر بين يديه، وقال عبد الله: وبسط باعیه، وحثا عبد الله، وقال هشام: وهذا من الله لا يدري ما عدده.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة قال: قال شريح بن عبيد: مرض ثوبان بجمص، وعليها عبد الله بن قرط الأزدي، فلم يعبده، فدخل على ثوبان رجل من الكلاء عائدًا، فقال له ثوبان: أتكتب؟ قال: نعم، قال: اكتب، فكتب للأمير عبد الله بن قرط «من ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أما بعد فإنه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام بحضرتك خادم لعدته»، ثم طوى الكتاب وقال له: أتبلغه إياه؟ قال: نعم، فانطلق الرجل بكتابه فدفعه إلى ابن قرط، فلما رآه، قام فزعمًا، فقال الناس: ما شأنه أحدث أمر؟ فأتى ثوبان حتى دخل عليه فعاده وجلس عنده ساعة، ثم قام فأخذ ثوبان بردائه، وقال: اجلس حتى أحدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، يقول «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً» تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون، فهو حديث صحيح، ولله الحمد والمنة.

(طريق آخر): قال الطبراني<sup>(٢)</sup>: حدثنا عمرو بن إسحاق بن زريق الحمصي، حدثنا محمد بن إسماعيل يعني ابن عياش، حدثني أبي، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد عن أبي أسماء الزحبي، عن ثوبان رضى الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين ألفاً لا يحاسبون، مع كل ألف سبعون ألفاً» هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الزحبي بين شريح وبين ثوبان، والله أعلم.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم غدونا إليه، فقال «عرضت على الأنبياء الليلة بأممها، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة، والنبي ومعه العصاة، والنبي ومعه النفر، والنبي وليس معه أحد، حتى مر على موسى عليه السلام ومعه كَبْكَبَةٌ من بنى إسرائيل، فأعجبوني فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: هذا أخوك موسى مع بني إسرائيل. قال: فقلت: فأين أمتي؟ فقيل: انظر عن يمينك، فنظرت فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال فقيل لى أرضيت؟ فقلت: أرضيت يا رب. ثم قيل لى: انظر عن يسارك. فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقيل لى: أرضيت؟ فقلت، أرضيت يا رب - قال - فقيل لى: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فقال النبي ﷺ: «فداكم أبى وأمى إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفاً فافعلوا، فإن

(١) صحيح: في المسند (٢١٨٠٠)، وانظر صحيح الجامع (٥٣٦٦).

(٢) المعجم الكبير (٩٢/٢)، برقم (١٤١٣).

(٣) في المسند (٣٧٩٦).

قصرتم فكونوا من أهل الطراب، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون»  
فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، أى من السبعين، فدعاه، فقام  
رجل آخر فقال: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال «قد سبقك بها عكاشة» قال: ثم تحدثنا  
فقلنا: من ترون هؤلاء السبعين الألف، قوم ولدوا فى الإسلام لم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا فبلغ  
ذلك النبي ﷺ فقال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» هكذا  
رواه أحمد بهذا السند وهذا السياق، ورواه أيضاً عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة بإسناده مثله، وزاد  
بعد قوله «رضيت يا رب، رضيت يا رب، قال: رضيت، قلت: نعم. قال انظر عن يسارك - قال -  
فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقال: رضيت؟ قلت: رضيت» وهذا إسناد صحيح من هذا  
الوجه تفرد به أحمد، ولم يخرجوه.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، حدثنا  
حماد عن عاصم عن زر، عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «عرضت على الأمم  
بالمواسم فرائث على أمتي، ثم رأيتهم فأعجبنتي كثرتهم وهيتهم، قد ملثوا السهل والجبل، فقال:  
أرضيت يا محمد؟ فقلت: نعم. قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين  
لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله  
ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم». فقام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال:  
«سبقك بها عكاشة» رواه الحافظ الضياء المقدسى، وقال: هذا عندي على شرط مسلم.

(حديث آخر) قال الطبراني<sup>(٢)</sup>: حدثنا محمد بن الجذوعى القاضى، حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا  
محمد بن أبى عدى عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول  
الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب» قيل: من هم؟ قال «هم  
الذين لا يكتون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» ورواه مسلم من طريق هشام بن  
حسان، وعنده ذكر عكاشة.

(حديث آخر) ثبت فى الصحيحين<sup>(٣)</sup> من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب أن أباه هريرة حدثه  
قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتي زمرة وهم سبعون ألفاً، نضىء وجوههم  
إضاءة القمر ليلة البدر» فقال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه، فقال: يا  
رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ «اللهم اجعله منهم» ثم قام رجل من الأنصار  
فقال مثله، فقال «سبقك بها عكاشة».

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني<sup>(٤)</sup>: حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا سعيد بن أبى مريم،  
حدثنا أبو غسان عن أبى حازم، عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون

(١) فى المسند (٤٣٢٧).

(٢) الطبراني فى الكبير (١٨٣/١٨)، برقم (٤٢٧).

(٣) البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦).

(٤) الطبراني فى الكبير (١٤٢/٦)، برقم (٥٧٨٢).

ألفاً - أو سبعمائة ألف - أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» أخرجه البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبىه عن سهل به .

(حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج فى صحيحه<sup>(١)</sup> : حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا هشيم، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن، قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال، أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟ قلت : أنا، ثم قلت : أما إنى لم أكن فى صلاة، ولكنى لدغت، قال : فما صنعت؟ قلت : استرقت . قال : فما حملك على ذلك؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم الشعبي؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمى أنه قال «لا رقية إلا من عين أو حمة» ، قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : «عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى، فقيل لى : هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى : انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فقال «ما الذى تخوضون فيه؟» فأخبروه، فقال «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يكتون ولا يتطرون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : أنت منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم، قال «سبقك بها عكاشة» وأخرجه البخارى عن أسيد بن زيد عن هشيم، وليس عنده : لا يرقون .

(حديث آخر) قال أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا روح بن عباد، حدثنا ابن جريج، أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ ، فذكر حديثاً، وفيه فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجوم فى السماء، ثم كذلك، وذكر بقيته، رواه مسلم من حديث روح، غير أنه لم يذكر النبى ﷺ .

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن أبى عاصم<sup>(٣)</sup> فى كتاب السنن له : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد، سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «وعدى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربى عز وجل» وكذا رواه الطبرانى<sup>(٤)</sup> من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش به، وهذا إسناد جيد .

(١) مسلم (٢٢٠).

(٢) فى المسند (١٤٦٩٥).

(٣) ابن أبى عاصم فى السنة (١/٢٦١)، برقم (٥٨٩).

(٤) الطبرانى فى الكبير (٨/١٢٩)، برقم (٧٥٢٠).

(طريق أخرى) عن أبي أمامة. قال ابن أبي عاصم<sup>(١)</sup>، حدثنا دحيم، حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، عن أبي اليمان الهوزني واسمه عامر بن عبد الله بن لُحَى، عن أبي أمامة عن رسول الله، قال: «إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب» فقال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب في الذباب، قال رسول الله ﷺ «فإن الله وعدني سبعين ألفًا، مع كل ألف سبعون ألفًا وزادني ثلاث حثيات»، وهذا أيضًا إسناد حسن،

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني<sup>(٢)</sup>: حدثنا أحمد بن خليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثي ربي عز وجل بكفيه ثلاث حثيات» فكبر عمر وقال: إن السبعين الأول يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائهم، وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر، قال الحافظ الضياء أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة: لا أعلم لهذا الإسناد علة، والله أعلم.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثني يحيى بن سعيد، حدثنا هشام يعني الدستوائي، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة، حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال: بقديد فذكر حديثًا وفيه ثم قال «وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوءوا أتم من صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة» قال الضياء: وهذا عندي على شرط مسلم.

(حديث آخر) قال عبد الرزاق<sup>(٤)</sup>: أنبأنا معمر عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمئة ألف». قال أبو بكر رضى الله عنه: زدنا يا رسول الله. قال: «والله هكذا». فقال عمر: حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دعني وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا، فقال عمر: إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحد، فقال النبي ﷺ «صدق عمر» هذا الحديث بهذا الإسناد تفرد به عبد الرزاق. قاله الضياء وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن مخلد، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا أبو هلال عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي مائة ألف» فقال أبو بكر: يا رسول الله، زدنا. قال: «وهكذا» وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك، قلت: يا رسول الله، زدنا فقال عمر: إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة، فقال رسول الله ﷺ «صدق عمر»، هذا حديث غريب من هذا الوجه. وأبو هلال اسمه محمد بن سليم الراسي بصري.

(١) صحيح: ابن أبي عاصم في السنة (١/٢٦٠)، برقم (٥٨٨)، وانظر «ظلال الجنة» للآلباني برقم (٥٨٨).

(٢) في الكبير (١٧/١٢٦)، برقم (٣١٢).

(٣) صحيح: في المسند (١٥٧٨٥)، وانظر صحيح الترغيب، برقم (١٥٢٣).

(٤) في مصنفه (١١/٢٨٦)، برقم (٢٠٥٥٦).

(طريق آخر) عن أنس . قال الحافظ أبو يعلى <sup>(١)</sup>: حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي، حدثنا حميد عن أنس، عن النبي ﷺ قال «يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً» قالوا: زدنا يا رسول الله . قال: «لكل رجل سبعون ألفاً» . قالوا: زدنا، وكان على كتيب، فقال «هكذا» وحثا بيده، قالوا: يا رسول الله أبعده الله من دخل النار بعد هذا، وهذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات، ما عدا عبد القاهر بن السري، وقد سئل عنه ابن معين فقال: صالح .

(حديث آخر) روى الطبراني <sup>(٢)</sup> من حديث قتادة عن أبي بكر بن أنس، عن أبي بكر بن عمير، عن أبيه أن النبي ﷺ، قال: «إن الله وعدني أن يدخل من أمي ثلثمائة ألف الجنة بغير حساب» فقال عمير: يا رسول الله، زدنا، فقال: هكذا، بيده، فقال عمير: يا رسول الله، زدنا فقال عمر: حسبك إن الله إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحشة واحدة، فقال نبي الله ﷺ «صدق عمر» .

(حديث آخر) قال الطبراني <sup>(٣)</sup>: حدثنا أحمد بن خليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عبد الله بن عامر أن قيساً الكندي حدثه أن أبا سعيد الأنماري حدثه أن رسول الله ﷺ، قال: «إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب، ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه» . كذا قال قيس، فقلت لأبي سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم بأذني، ووعاه قلبي، قال أبو سعيد: فقال يعني رسول الله ﷺ: «وذلك إن شاء الله عز وجل يستوعب مهاجري أمي ويوفى الله بقيته من أعرابنا» وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده مثله، وزاد: قال أبو سعيد: فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ، فبلغ أربعمائة ألف وتسعين ألف ألف .

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني <sup>(٤)</sup>: حدثنا هشيم بن مرثد الطبراني، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفس محمد بيده ليعثن منكم يوم القيامة إلى الجنة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يَخِيطُونَ الأرض، تقول الملائكة: لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء؟» وهذا إسناد حسن .

(حديث آخر) من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل، وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة، قال الإمام أحمد <sup>(٥)</sup>: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمي يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال: فكبرنا، ثم قال: «أرجو أن يكونوا ثلث الناس» قال: فكبرنا، ثم قال: «أرجو أن تكونوا الشطر»، وهكذا رواه عن روح عن ابن جريج به، وهو على شرط مسلم . وثبت في

(١) أبو يعلى في مسنده (٤١٧/٦)، برقم (٣٧٨٣) .

(٢) في المعجم الكبير (٦٤/١٧)، برقم (١٢٣) .

(٣) في الأوسط (١٢٨/١)، برقم (٤٠٤) .

(٤) في المعجم الكبير (٢٩٧/٣)، برقم (٣٤٥٥) .

(٥) في المسند (١٤٦٩٤) .

الصحيحين<sup>(١)</sup> من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة؟» فكبرنا، ثم قال «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» فكبرنا، ثم قال «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة».

(طريق أخرى) عن ابن مسعود. قال الطبراني<sup>(٢)</sup>: حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثني الحارث بن حصين، حدثني القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «كيف أنتم وثلثها؟» قالوا: ذلك أكثر، قال: «كيف أنتم والشرط لكم؟» قالوا: ذلك أكثر، فقال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، لكم منها ثمانون صفًا» قال الطبراني: تفرد به الحارث بن حصين.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا ضرار بن مرة أبو سنان الشيباني عن محارب بن دثار، عن ابن بريدة، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة من ذلك ثمانون صفًا» وكذا رواه عن عفان عن عبد العزيز به، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان به، وقال: هذا حديث حسن، ورواه ابن ماجه من حديث سفیان الثوري عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه به.

(حديث آخر) روى الطبراني<sup>(٤)</sup> من حديث سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي: حدثنا خالد بن يزيد البجلي، حدثنا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه، عن جده عن النبي ﷺ، قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من أمتي» تفرد به خالد بن يزيد البجلي، وقد تكلم فيه ابن عدي.

(حديث آخر) قال الطبراني<sup>(٥)</sup>: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا موسى بن غيلان، حدثنا هاشم بن مخلد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفیان، عن أبي عمرو، عن أبيه عن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿ثَلَاثَةَ رُبَعٍ مِنَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَتَلَاؤُهُ مِنَ الْأَخْيَرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠] قال رسول الله ﷺ «أنتم ربيع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة». وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي ﷺ، قال «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، الناس لنا فيه تبع، غداً لليهود للنصارى بعد غداً» رواه البخاري ومسلم<sup>(٦)</sup> من حديث عبد الله بن طاوس عن أبيه، عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي ﷺ، مرفوعاً بنحوه، ورواه مسلم أيضاً من طريق الأعمش عن أبي

(١) البخاري (٦٦٤٢)، ومسلم (٢٢١).

(٢) في المعجم الكبير (٢٠٨/١٠)، برقم (١٠٣٥٠).

(٣) في المسند (٢٢٤٩٣).

(٤) في المعجم الكبير (٣٤٨/١٠)، برقم (١٠٦٨٢).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠١/٧) من طريق الطبراني.

(٦) البخاري (٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٥).



والحسن وقتادة والسدى والربيع بن أنس .

وقوله ﴿وَبَاءُوا بِمَعْصِيَةِ رَبِّهِمْ﴾ أي ألزموا فالتزموا بغضب من الله وهم يستحقونه ﴿وَصَرِيحَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ أي الزموها قدرًا وشرعًا . ولهذا قال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْوَالِدِينَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي وإنما حملهم على ذلك الكبر والبغى والحسد فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدًا متصلاً بذل الآخرة، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي إنما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله، وقبضوا لذلك - أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله عز وجل والغشيان لمعاصي الله، والاعتداء في شرع الله، فعيادًا بالله من ذلك، والله عز وجل المستعان . قال ابن أبي حاتم <sup>(١)</sup>: حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر الأزدي، عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه، قال: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي، ثم يقوم سوق بقلهم آخر النهار .

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾<sup>(١٧)</sup> يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاسْتُرِعُوا فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢١﴾

قال ابن أبي نجيح: زعم الحسن بن يزيد العجلي، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ قال: لا يستوى أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ، وهكذا قال السدى . ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده <sup>(٢)</sup>: حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى، قالوا: حدثنا شيبان عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال: أخرج رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم» قال: فنزلت هذه الآيات ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفي عن ابن عباس - أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سَعِيَةَ وأسيد بن سَعِيَةَ وغيرهم، أي لا يستوى من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب، وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي لشرعه، متبعة نبي الله، فهي قائمة، يعنى مستقيمة ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي يقومون الليل ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٧/١٠٢).

(٢) المسند (٣٧٥١).

بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَّهِنُونَ مِنَ الْمُنْكَرِ وَكُسْرُوعًا فِي الْحَيَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩]، ولهذا قال تعالى ههنا ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ أى لا يضيع عند الله، بل يجزيهم به أوفر الجزاء ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْتَهَبِ﴾ أى لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً. ثم قال تعالى مخبراً عن الكفرة المشركين بأنه ﴿لَنْ تُنْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أى لا يرد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أَرَادَهُ بِهِمْ ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار فى هذه الدار، قاله مجاهد والحسن والسدى، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أى برد شديد، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم.

وقال عطاء: برد وجليد، وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ أى نار وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والشمار، كما يحرق الشيء بالنار ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَنَّهُمْ﴾ أى فأحرقته، يعنى بذلك السفعة إذا نزلت على حرث قد آن جذاذه أو حصاده، فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع، فذهبت به وأفسدته، فعدمه صاحبه أخرج ما كان إليه. فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم فى هذه الدنيا وثمرتها، كما أذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه. وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٢﴾ هَاتَمَةُ أَوْلَادُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا عَضُوًا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْفَيْطِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْبِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٣﴾ إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَأَلْتُمُوهَا وَإِن تَضْرِبْكُمُ سَيْئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَضْرِبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٤﴾﴾

يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أى يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم، لا يألون المؤمنين خبالاً، أى يسعون فى مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويوتون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم، وقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ أى من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخله أمره. وقد روى البخارى والنسائى<sup>(١)</sup> وغيرهما، من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبى عتيق عن الزهري، عن أبى سلمة، عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له

(١) البخارى (٦٦١١)، والنسائى (٤٢٠٢)، وأحمد فى مسنده (١٠٩٤٩).

بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله، وقد رواه الأوزاعي ومعاوية بن سلام عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، فيحتمل أنه عند الزهري عن أبي سلمة عنهما وأخرجه النسائي عن الزهري أيضاً، وعلقه البخاري في صحيحه فقال: وقال عبيد الله بن أبي جعفر عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً فذكره فيحتمل أنه عند أبي سلمة عن ثلاثة من الصحابة، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا أبي، حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان، حدثنا عيسى بن يونس عن أبي حيان التيمي، عن أبي الزبياح، عن ابن أبي الدهقانة، قال: قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتباً، فقال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين. ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطلاع على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَكُمُ خَبْرًا وَلَا دُؤًا مَا عَنِتُّمْ﴾.

وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن إسرائيل، حدثنا هشيم، حدثنا العوام عن الأزهر بن راشد، قال: كانوا يأتون أنساً فإذا حدثهم بحدِيث لا يدرون ما هو، أتوا الحسن يعنى البصرى، فيفسره لهم، قال: فحدث ذات يوم عن النبى ﷺ أنه قال «لا تستضيفوا بنار المشركين، ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربياً» فلم يدروا ما هو، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنساً حدثنا أن رسول الله ﷺ قال «لا تستضيفوا بنار المشركين، ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربياً» فقال الحسن: أما قوله «لا تنقشوا فى خواتيمكم عربياً»: محمد ﷺ، وأما قوله «لا تستضيفوا بنار المشركين» يقول: لا تستشيروا المشركين فى أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك فى كتاب الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله تعالى، وقد رواه النسائي عن مجاهد بن موسى، عن هشيم، ورواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> عن هشيم بإسناده مثله فى غير ذكر تفسير الحسن البصرى، وهذا التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر «لا تنقشوا فى خواتيمكم عربياً» أى بخط عربى، لثلا يشابه نقش خاتم النبى ﷺ، فإنه كان نقشه محمد رسول الله، ولهذا جاء فى الحديث الصحيح أنه نهى أن ينقش أحد على نقشه. وأما الاستضاءة بنار المشركين، فمعناه لا تقاربوهم فى المنازل بحيث تكونون معهم فى بلادهم، بل تباعدوا منهم، وهاجروا من بلادهم، ولهذا روى أبو داود «لا تتراءى ناراهما»<sup>(٤)</sup> وفى الحديث الآخر «من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله»<sup>(٥)</sup> فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أى قد لاح على صفحات

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٥٠٠)، برقم (١٢٧٤).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/١٢٧)، والنسائي في الكبرى (٥/٤٥٤).

(٣) في المسند (١١٥٤٣).

(٤) صحيح: أبو داود (٢٦٤٥)، من حديث جرير، وانظر صحيح سنن أبي داود.

(٥) حسن: أبو داود (٢٧٨٧)، من حديث سمرة بن جندب، وانظر صحيح الجامع، برقم (٦١٨٦).

وجوههم، وفتلات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ سَوَاقُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هَكَأُنْتُمْ أَوْلَاءَ جُحُودُهُمْ وَلَا يُحِيبُونَكُمْ﴾ أى أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرونه لكم من الإيمان فتحببونهم على ذلك، وهم لا يحبونكم لا باطنًا ولا ظاهرًا، ﴿وَتَوَمَّنُونَ بِالْأَيْمَانِ كَلِمَةٍ﴾ أى ليس عندكم فى شيء منه شك ولا ريب، وهم عندهم الشك والريب والحيرة. وقال محمد بن إسحاق: حدثنى محمد بن أبى محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبیر، عن ابن عباس ﴿وَتَوَمَّنُونَ بِالْأَيْمَانِ كَلِمَةٍ﴾ أى بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، رواه ابن جرير، ﴿وَإِذَا لَقَوْتُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآيَاتِ مِنَ الْقَبْطِ﴾ والأنامل أطراف الأصابع، قاله قتادة. وقال الشاعر:

أودُّ كما ما بلِّ حلقي ريفتي وما حملت كفاى أنملى العشرا

وقال ابن مسعود والسدى والربيع بن أنس: الأنامل الأصابع، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة، وهم فى الباطن بخلاف ذلك من كل وجه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآيَاتِ مِنَ الْقَبْطِ﴾ وذلك أشد الغيظ والحنق.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَوْتُوا بِمَنِّيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أى مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم، فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه، ومعل كلمته ومظهر دينه، فموتوا أنتم بغيظكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أى هو عليم بما تنطوى عليه ضمائركم وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين، وهو مجازيكم عليه فى الدنيا بأن يريكم خلاف ما تؤمنون، وفى الآخرة بالعذاب الشديد فى النار التى أنتم خالدون فيها لا محيد لكم عنها، ولا خروج لكم منها. ثم قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْفُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة أى جذب أو أديل عليهم الأعداء، لما لله تعالى فى ذلك من الحكمة - كما جرى يوم أحد - فرح المنافقون بذلك، قال الله تعالى مخاطبًا للمؤمنين ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ الآية، يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به. وهو الذى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع فى الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه. ثم شرع تعالى فى ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعبادة المؤمنين. والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبيان صبر الصابرين فقال تعالى:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ الْغَنَاتِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَلِيقَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

المراد بهذه الواقعة يوم أحد عند الجمهور، قاله ابن عباس والحسن وقاتدة والسدى وغير واحد.

وعن الحسن البصرى : المراد بذلك يوم الأحزاب . رواه ابن جرير ، وهو غريب لا يعول عليه . وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة .

قال قتادة : لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال . وقال عكرمة : يوم السبت للنصف من شوال ، فالله أعلم ، وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرفهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها من التجارة التى كانت مع أبى سفيان فلما رجع فقلُّهُم إلى مكة قال أبناء من قتل ، ورؤساء من بقى لأبى سفيان : أرصد هذه الأموال لقتال محمد فأنفقوها فى ذلك ، فجمعوا الجموع والأحاييش ، وأقبلوا فى نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريباً من أحد تلقاء المدينة ، فصلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فلما فرغ منها صلى على رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو ، واستشار رسول الله ﷺ الناس «أىخرج إليهم أم يمكث بالمدينة» فأشار عبد الله بن أبى بالمقام بالمدينة ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرًا بالخروج إليهم ، فدخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته وخرج عليهم ، وقد ندم بعضهم وقالوا : لعنا استكرهنا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله إن شئت أن نمكث ، فقال رسول الله ﷺ «ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن يرجع حتى يحكم الله له»<sup>(١)</sup> فسار ﷺ فى ألف من أصحابه ، فلما كانوا بالشوط ، رجع عبد الله بن أبى فى ثلث الجيش مغضباً لكونه لم يرجع إلى قوله ، وقال هو وأصحابه : لو نعلم اليوم قتالاً لاتبعناكم ، ولكننا لا نراكم تقاتلون اليوم . واستمر رسول الله ﷺ سائرًا حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى . وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال «لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال» . وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال وهو فى سبعمائة من أصحابه . وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أبا بنى عمرو بن عوف . والرماة يومئذ خمسون رجلاً ، فقال لهم «انضحوا الخيل عنا ولا تؤتينا من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت النبوة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تحطفتنا الطير فلا تبرحوا مكانكم» وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين ، وأعطى اللواء مصعب بن عمير أبا بنى عبد الدار . وأجاز رسول الله ﷺ بعض الغلمان يومئذ وأرجأ آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين ، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل ، ودفعوا اللواء إلى بنى عبد الدار ، ثم كان بين الفريقين ما سيأتى تفصيله فى مواضعه عند هذه الآيات ، إن شاء الله تعالى ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ﴾ أى تنزلهم منازلهم ، وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أى سميع لما تقولون ، عليم بضمائرهم .

وقد أورد ابن جرير ههنا سؤالاً حاصله : كيف تقولون إن النبى ﷺ خرج إلى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ﴾ الآية ثم كان جوابه عنه : أن غدوه لييوأهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار .

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (١٤٣٧٣) .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ الآية، قال البخاري<sup>(١)</sup>: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: قال عمر: سمعت جابر بن عبد الله يقول: فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ الآية، قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة. وما نحب - وقال سفيان مرة - وما يسرنى أنها لم تنزل لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُنَّ﴾ وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به. وكذا قال غير واحد من السلف: إنهم بنو حارثة وبنو سلمة. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ أى يوم بدر، وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك، وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيهم فرسان وسبعون بعيراً، والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه. وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف فى سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلى الزائد، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزيهه، وبيض وجه النبى وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، ولهذا قال تعالى ممثلاً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أى قليل عددكم ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد، ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَرْهَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَادَّتْكُمْ وَاللَّهُ يَسُودُ كَيْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن سماك، قال: سمعت عياضاً الأشعري قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة، ويزيد بن أبى سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض وليس عياض هذا الذى حدث سماكاً قال: وقال عمر: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال فكتبنا إليه إنه قد جأش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا إنه قد جأنى كتابكم تستمدوننى، وإنى أدلكم على من هو أعز نصرًا، وأحصن جنودًا: الله عز وجل فاستنصروه، فإن محمدًا ﷺ قد نصر يوم بدر فى أقل من عدتكم، فإذا جاءكم كتابى هذا، فقاتلوه ولا تراجعونى، قال: فقاتلناهم فهزمناهم أربعة فراسخ، قال: وأصبنا أموالاً فتشاورنا، فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل ذى رأس عشرة، قال: وقال أبو عبيدة: من يراهننى؟ فقال شاب: أنا إن لم تغضب قال: فسبقه فرأيت عقيصتى أبى عبيدة تَنْفَرَانِ وهو خلفه على فرس عُزَى، وهذا إسناد صحيح، وقد أخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه، واختاره الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه، وبدر: محلة بين مكة والمدينة تعرف ببئرها، منسوبة إلى رجل حفرها، يقال له: بدر بن النارين، قال الشعبي: بدر بئر لرجل يسمى بدرًا، وقوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أى تقومون بطاعته.

(١) البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

(٢) فى المسند (٣٤٦).

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَلِّينَ ﴿١٧١﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُبَدِّلْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٧٢﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٧٣﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَآئِبِينَ ﴿١٧٤﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٧٥﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

اختلف المفسرون في هذا الوعد، هل كان يوم بدر أو يوم أحد؟ على قولين (أحدهما) أن قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: ١٢٣] ورؤى هذا عن الحسن البصرى وعامر الشعبى والربيع بن أنس وغيرهم، واختاره ابن جرير قال عباد بن منصور عن الحسن فى قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ قال: هذا يوم بدر، رواه ابن أبى حاتم. ثم قال: حدثنا أبى، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا داود عن عامر يعنى الشعبى: أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَلِّينَ﴾ - إلى قوله - ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: فبلغت كرزاً الهزيمة، فلم يمد المشركين، ولم يمد الله المسلمين بالخمس.

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول، وبين قوله تعالى فى قصة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَيْشُونَ رَبُّكُمْ فَأَنْتَجَبَ لَكُمْ أَنْ يَكْفِيَكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩-١٠]؟ فالجواب أن التنصيص على الألف - وهنا - لا ينافى الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله: ﴿مُرَوِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف آخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق فى سورة آل عمران. فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، والله أعلم. وقال سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة: أمد الله المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف. (القول الثانى) - أن هذا الوعد متعلق بقوله: ﴿وَإِذْ عَدَدَتْ مِنْ أَهْلِكَ ثُبُوءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْدَعِدَ الْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] وذلك يوم أحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهرى وموسى بن عقبة وغيرهم. لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمس الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ، زاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا﴾ فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد وقوله: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا﴾ يعنى: تصبروا على مصابرة عدوكم، وتتقونى وتطيعوا أمرى. وقوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ قال الحسن وقاتدة والربيع والسدى: أى من وجههم هذا، وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح: أى من غضبهم هذا. وقال الضحاك: من غضبهم ووجههم. وقال العوفى عن ابن عباس: من سفرهم هذا، ويقال: من غضبهم هذا. وقوله تعالى: ﴿يُبَدِّلْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ أى معلمين بالسيما، وقال أبو إسحاق السبيعى عن حارثة بن مضرب، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: كان سيما الملائكة يوم بدر

الصفوف الأبيض، وكان سيماهم أيضًا في نواصي خيولهم، رواه ابن أبي حاتم. ثم قال: حدثنا أبو زرعة، حدثنا هذبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضى الله عنه في هذه الآية ﴿مُسَوِّينَ﴾ قال: بالعهن الأحمر، وقال مجاهد: ﴿مُسَوِّينَ﴾ أى محدقة أعرافها، معلمة نواصيها بالصفوف الأبيض فى أذنان الخيل. وقال العوفى، عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: أتت الملائكة محمدًا ﷺ، مسومين بالصفوف، فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصفوف. وقال قتادة وعكرمة ﴿مُسَوِّينَ﴾ أى بسيم القتال، وقال مكحول: مسومين بالعمائم. وروى ابن مردويه<sup>(١)</sup> من حديث عبد القدوس بن حبيب عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله: ﴿مُسَوِّينَ﴾ قال «معلمين». وكان سيم الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حمراء. وروى من حديث حصين بن مخارق عن سعيد، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم عن مقسم، عن ابن عباس، قال: كان سيم الملائكة يوم بدر، عمائم بيض قد أرسلوها فى ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمراء. ولم تضرب الملائكة فى يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون، ثم رواه عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس فذكر نحوه.

وقال ابن أبى حاتم<sup>(٣)</sup>: حدثنا الأحمسي، حدثنا وكيع، حدثنا هشام بن عروة عن يحيى بن عباد أن الزبير رضى الله عنه، كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفراء، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، فذكره. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطَمِيقًا قُلُوبِكُمْ بِئْسَ أَىٰ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ وَأَعْلَمَكُمْ بِإِنزَالِهِمْ إِلَّا بَشَارَةً لَكُمْ وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِكُمْ وَتَطْمِيقًا، وَإِلَّا فَإِنَّمَا النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِى لَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ بِدُونِكُمْ، وَمِنْ غَيْرِ احْتِجَاجٍ إِلَىٰ قِتَالِكُمْ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ بَعْدَ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقِتَالِ ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ يُغَادِرُكُمْ سِبْطِهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمَمِ وَيَنْظُرُهُمْ لَيْتَنَّا عَرَفْنَا لَمَمَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦] ولهذا قال ههنا ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطَمِيقًا قُلُوبِكُمْ بِئْسَ أَىٰ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَزِيَّةَ الْكُبْرَىٰ﴾ أى هو ذو العزة التى لا ترام، والحكمة فى قدره والأحكام.

ثم قال تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى أمركم بالجهاد والجلاد لما له فى ذلك من الحكمة فى كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة فى الكفار المجاهدين، فقال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أى ليهلك أمة ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أى يخزيهم ويردهم بغیظهم لما لم ينالوا منكم ما أرادوا. ولهذا قال: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا﴾ أى يرجعوا ﴿حَائِبِينَ﴾ أى لم يحصلوا على ما أملوا. ثم اعترض بجمله دلت على أن الحكم فى الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أى بل الأمر كله إلى، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَلَيْكَ أَلْبَلَعُ وَعَلَيْنَا لَلْسَابُ﴾ [الرحم: ٤٠] وقال ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٢/٥٢٥)، برقم (١٣٦٨).

(٢) أخرجه الطبراني فى تفسيره (٧/١٧٥).

(٣) ابن أبى حاتم فى التفسير (٢/٥٢٨)، برقم (١٣٧٤).

وَلَعَلَّكَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧] وقال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القمر: ٥٦] قال محمد بن إسحاق في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم، ثم ذكر تعالى بقية الأقسام، فقال ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أى مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ أى فى الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم، ولهذا قال ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَآئِمَاتٍ﴾ أى يستحقون ذلك. وقال البخارى <sup>(١)</sup>: حدثنا جبان بن موسى، أنبأنا عبد الله، أنبأنا معمر عن الزهرى، حدثنى سالم عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الثانية من الفجر «اللهم العن فلاناً وفلاناً» بعدما يقول سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية وهكذا رواه النسائى <sup>(٢)</sup> من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق، كلاهما عن معمر به.

وقال الإمام أحمد <sup>(٣)</sup> حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عقيل - قال أحمد: وهو عبد الله بن عقيل صالح الحديث ثقة - حدثنا عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «اللهم العن فلاناً وفلاناً، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَاتٍ مِّنَ اللَّهِ فَكُلَّمَا عَرَفُوا صِلَةَ رَبِّهِمْ لَتَنَّاهُمْ فَسَدُّوا السُّبُلَ﴾ وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية الغلابى، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا محمد بن عجلان عن نافع، عن عبد الله، أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة، قال: فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى آخر الآية، قال: وهداهم الله للإسلام.

قال البخارى: وقال محمد بن عجلان عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال، كان رسول الله ﷺ يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم، حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، وقال البخارى <sup>(٤)</sup> أيضاً: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، وأبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد، أو يدعو لأحد، فنت بعد الركوع وربما قال: إذا قال «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» يجهر بذلك. وكان يقول فى بعض صلاته فى صلاة الفجر «اللهم العن فلاناً وفلاناً» لأحياء من أحياء العرب، حتى أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.

وقال البخارى <sup>(٥)</sup>: قال حميد وثابت، عن أنس بن مالك: شج النبى ﷺ يوم أحد، فقال «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟» فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وقد أسند هذا الحديث الذى علقه البخارى فى صحيحه، فقال البخارى <sup>(٦)</sup> فى غزوة أحد: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمى، أخبرنا عبد الله،

(٢) النسائى (١٠٧٨).

(٤) البخارى (٤٥٦٠).

(١) البخارى (٤٥٥٩).

(٣) فى المسند (٥٦٤١).

(٥) أخرجه البخارى تعليقاً عقب حديث (٤٠٦٨).

(٦) البخارى (٤٠٦٩).

أخبرنا معمر عن الزهري، حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر «اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً» بعدما يقول «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية. وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظِلْمُوتٌ﴾ هكذا ذكر هذه الزيادة البخاري معلقة مرسله، وقد تقدمت مسندة متصلة في مسند أحمد أنفاً.

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا هشيم، حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه، أن النبي ﷺ، كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظِلْمُوتٌ﴾ انفرد به مسلم، فرواه عن الفعيني، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، فذكره.

وقال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح: حدثنا الحسين بن واقد عن مطر، عن قتادة، قال: أصيب النبي ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان والدم يسيل، فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه، فأفاق وهو يقول «كيف يقوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل؟» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه، ولم يقل: فأفاق. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أى الجميع ملك له، وأهلها عبيد بين يديه ﴿يَمُرُّ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أى هو المتصرف فلا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٨﴾ \* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَرِحَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِ الْعَمَلِينَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافاً مضاعفة كما كانوا في الجاهلية يقولون: إذا حل أجل الدين، إما أن تقضى وإما أن تربي، فإن قضاها، وإلا زاده في المدة، وزاده الآخر في القدر، وهكذا كل عام فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً، وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون في الأولى والأخرى، ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ثم ندبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارة إلى نيل القربات، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ

(١) في المسند (١١٥٤٥).

(٢) في التفسير (٨٧/٤).

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ أى كما أعدت النار للكافرين، وقد قيل إن معنى قوله ﴿عَرْشُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ تنبيهاً على اتساع طولها، كما قال فى صفة فرش الجنة ﴿بِلَآئِنَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أى فما ظنك بالظواهر؟، وقيل: بل عرضها كطولها لأنها قبة تحت العرش، والشئ المقرب والمستدير عرضه كطوله، وقد دل على ذلك ما ثبت فى الصحيح<sup>(١)</sup> «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن» وهذه الآية كقوله تعالى فى سورة الحديد ﴿سَابِقُوا إِلَى مَفْرَرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] الآية، وقد روينا فى مسند الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> أن هرقل كتب إلى النبى ﷺ إنك دعوتنى إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبى ﷺ «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟» وقد رواه ابن جرير<sup>(٣)</sup> فقال: حدثنى يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرنى مسلم بن خالد عن ابن خُثيم، عن سعيد بن أبى راشد، عن يعلى بن مرة، قال: لقيت التنوخى رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخاً كبيراً قد فسد، فقال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل فناول الصحيفة رجلاً عن يساره، قال: قلت: من صاحبكم الذى يقرأ؟ قالوا: معاوية، فإذا كتاب صاحبى: إنك كتبت تدعونى إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟ قال: فقال رسول الله ﷺ «سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟» وقال الأعمش وسفيان الثورى وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب: إن ناساً من اليهود سألو عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرايتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعتم مثلها من التوراة، رواه ابن جرير<sup>(٤)</sup> من ثلاثة طرق، ثم قال: حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا أبو نعيم، حدثنا جعفر بن برقان، أنبأنا يزيد بن الأصم: أن رجلاً من أهل الكتاب قال: يقولون عنهما ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ فقال ابن عباس رضى الله عنه: أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟ وقد روى هذا مرفوعاً، فقال البزار<sup>(٥)</sup>: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا المغيرة بن سلمة أبو هشام، حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن أبى هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرايت قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ قال: «أرايت الليل إذا جاء لبس كل شئ، فأين النهار؟» قال: حيث شاء الله، قال «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل» وهذا يحتمل معنيين:

(أحدهما) أن يكون المعنى فى ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون فى مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث يشاء الله عز وجل، وهذا أظهر كما تقدم فى حديث أبى هريرة عن البزار.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠)، من حديث أبى هريرة.

(٢) حسن: المسند (١٥٢٢٨)، من حديث التنوخى.

(٣) حسن: ابن جرير فى تفسيره (٩٢/٤).

(٤) ابن جرير فى تفسيره (٩٢/٤).

(٥) البزار فى مسنده (٢١٩٦- كشف) قال الهيثمى فى المجمع (٣٢٧/٦): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

(الثاني) أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها، كما قال الله عز وجل ﴿كَرَّمِضَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] والنار في أسفل سافلين فلا تنافى بين كونها كعرض السموات والأرض وبين وجود النار، والله أعلم.

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أي في الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض وفي جميع الأحوال، كما قال ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالسَّيْرِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والإنفاق في مرضيه. والإحسان إلى خلقه من قرباتهم وغيرهم بأنواع البر. وقوله تعالى: ﴿وَالْعَظِيمِينَ الْقَنِيظَ وَالْمَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عن أساء إليهم. وقد ورد في بعض الآثار «يقول الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت، أذكرك إذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلك»، رواه ابن أبي حاتم، وقد قال أبو يعلى<sup>(١)</sup> في مسنده: حدثنا أبو موسى الزمن، حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل، حدثني الربيع بن سليمان الجيزي عن أبي عمرو بن أنس بن مالك، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ «من كف غضبه، كف الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه، ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله، قبل الله عذره» وهذا حديث غريب، وفي إسناده نظر، وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا مالك عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» وقد رواه الشيخان<sup>(٣)</sup> من حديث مالك. وقال الإمام أحمد أيضاً<sup>(٤)</sup>: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد، عن عبد الله وهو ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله» قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال «اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله، مالك من مالك إلا ما قدمت، ومال وارثك ما أخرت» قال: وقال رسول الله ﷺ «ما تعدون الصرعة فيكم؟» قلنا: الذي لا تصرعه الرجال. قال «لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب». قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون فيكم الرقوب؟» قلنا: الذي لا ولد له. قال «لا، ولكن الرقوب الذي لم يقدم من ولده شيئاً» أخرج البخاري<sup>(٥)</sup> الفصل الأول منه، وأخرج مسلم<sup>(٦)</sup> أصل هذا الحديث، من رواية الأعمش به.

(١) حسن: أبو يعلى (٣٠٢/٧) برقم (٤٣٣٨) من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب عن الربيع بن سليم قال: حدثني أبو عمرو مولى أنس أنه سمع أنسا يقول.. قال الهيثمي في المجمع (٢٩٨/١٠): فيه الربيع بن سليمان الأزدي، وهو ضعيف. وللحديث شواهد، انظر: السلسلة الصحيحة برقم (٢٣٦٠).

(٢) صحيح: المسند (٧١٧٨).

(٣) البخاري برقم (٦١١٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٩).

(٤) صحيح: المسند (٣٦١٩).

(٥) البخاري برقم (٦٤٤٢) من حديث الأعمش.

(٦) مسلم برقم (٢٦٠٨) من حديث الأعمش.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبد الله الجعفي يحدث عن أبي حصبة أو ابن أبي حصين ، عن رجل شهد النبي ﷺ يخطب ، فقال «أندرون ما الرقوب؟» قلنا: الذي لا ولد له ، قال «الرقوب كل الرقوب الذي له ولد فمات ولم يقدم منهم شيئاً» قال «أندرون ما الصعلوك؟» قالوا: الذي ليس له مال ، فقال النبي ﷺ «الصعلوك كل الصعلوك الذي له مال فمات ولم يقدم منه شيئاً» قال : ثم قال النبي ﷺ «ما الصرعة؟» قالوا: الصريع الذي لا تصرعه الرجال ، قال فقال ﷺ «الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه» .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، عن الأحنف بن قيس ، عن عم له يقال له جارية بن قدامة السعدي ، أنه سأل رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، قل لى قولاً ينفعى وأقلل على لعلى أعيه ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تغضب» فأعاد عليه حتى أعاد عليه مراراً كل ذلك يقول «لا تغضب» ، وهكذا رواه عن أبي معاوية عن هشام به ، ورواه أيضاً عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به ، أن رجلاً قال : يا رسول الله ، قل لى قولاً وأقلل على لعلى أعقله ، فقال «لا تغضب» الحديث ، انفرد به أحمد .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله أوصنى ، قال : «لا تغضب» . قال الرجل : ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله ، انفرد به أحمد .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن أبي ابن حرب بن أبي الأسود ، عن أبي الأسود ، عن أبي ذر رضى الله عنه قال : كان يسقى على حوض له فجاء قوم فقالوا : أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه؟ فقال رجل : أنا ، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فذقه ، وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقبل له : يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت ، فقال : إن رسول الله ﷺ قال لنا «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» ، ورواه أبو داود<sup>(٥)</sup> عن أحمد بن حنبل بإسناده إلا أنه وقع فى روايته عن أبي حرب عن أبي ذر ، والصحيح ابن أبي حرب عن أبيه عن أبي ذر ، كما رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا أبو وائل الصنعاني ، قال : كنا جلوساً عند عروة بن محمد إذ دخل عليه رجل فكلمه بكلام أغضبه ، فلما أن أغضبه قام ثم عاد إلينا وقد توشأ ، فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية هو ابن سعد السعدى - وقد كانت له صحبة - قال : قال

(١) المسند (٢٢٦٠٥) قال الهيثمي فى المجمع (١١/٣) : فيه أبو حصنة أو ابن حصنة قال الحسيني : مجهول وبقية رجاله ثقات .

(٢) صحيح : المسند (١٩٨٤٤) . (٣) صحيح : المسند (٢٢٦٦٠) .

(٤) صحيح : المسند (٢٠٨٤١) . (٥) صحيح : أبو داود برقم (٤٧٨٢) .

(٦) ضعيف : المسند (١٧٥٢٤) ، انظر : ضعيف الجامع برقم (١٥١٠) .

رسول الله «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا أغضب أحدكم فليتوضأ». وهكذا رواه أبو داود<sup>(١)</sup> من حديث إبراهيم بن خالد الصنعاني عن أبي وائل القاص المرادي الصنعاني، قال أبو داود: أراه عبد الله بن بحير.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا نوح بن جفونة السلمي، عن مقاتل بن حيان، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «من أنظر معسرًا أو وضع له، وقاه الله من فيح جهنم، ألا إن عمل الجنة حزن بريرة - ثلاثًا - ألا إن عمل النار سهل بشهوة. والسعيد من وقى الفتنة، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيمانًا»، انفرد به أحمد، وإسناده حسن ليس فيه معرج، ومنتنه حسن.

(حديث آخر في معناه) - قال أبو داود<sup>(٣)</sup>: حدثنا عقببة بن مكرم، حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن بشر يعني ابن منصور، عن محمد بن عجلان، عن سويد بن وهب، عن رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه، ملأه الله أمتًا وإيمانًا، ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه - قال بشر: أحسبه قال: تواضعًا - كساه الله حلة الكرامة ومن زوج لله كساه الله تاج الملك».

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>: حدثنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا سعيد، حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء» ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه<sup>(٥)</sup> من حديث سعيد بن أبي أيوب به، وقال الترمذي: حسن غريب.

(حديث آخر) - قال عبد الرزاق: أنبأنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم، عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل، عن عم له، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمتًا وإيمانًا» رواه ابن جرير<sup>(٦)</sup>.

(حديث آخر) - قال ابن مردويه<sup>(٧)</sup>: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، أنبأنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا علي بن عاصم، أخبرني يونس بن عبيد عن الحسن، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «ما تجرع عبد من جرعة أفضل أجرًا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله» وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر، عن حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد به، فقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي لا يعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل. ثم قال تعالى: ﴿وَالْمَافِينَ عَنِ الْآثَامِ﴾ أي مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال ﴿وَاللَّهُ يَجِبُ الثَّمَنِينَ﴾ فهذا من مقامات

(١) أبو داود برقم (٤٧٨٣). (٢) صحيح: المسند (٣٠٠٨).

(٣) أبو داود برقم (٤٧٧٧). (٤) حسن: المسند (١٥٢١٠).

(٥) حسن: أبو داود برقم (٤٧٧٧)، الترمذي برقم (٢٠٢١)، ابن ماجه برقم (٤١٨٦).

(٦) ضعيف من هذا الوجه: ابن جرير في تفسيره (٩٤/٤) من طريق عبد الرزاق به وللحديث شواهد: إسناده

حسن، من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنهما.

(٧) من هذا الطريق أخرجه أحمد (٦٠٧٩)؛ وفيه علي بن عاصم: كذبه الكثير.

الإحسان، وفي الحديث «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله»<sup>(١)</sup>، وروى الحاكم<sup>(٢)</sup> فى مستدرکه من حديث موسى بن عقبه عن إسحاق بن يحيى بن طلحة القرشى، عن عبادة بن الصامت، عن أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ، قال: «من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعته» ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وقد أورده ابن مردويه<sup>(٣)</sup> من حديث على وكعب بن عجرة وأبى هريرة وأم سلمة رضى الله عنهم بنحو ذلك. وروى عن طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول: أين العافون عن الناس؟ هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم، وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة»<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِيصَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ أى إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار.

قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup>: حدثنا يزيد، حدثنا همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن عبد الرحمن بن أبى عمرة، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال «إن رجلاً أذنب ذنباً فقال: رب إنى أذنبت ذنباً فاغفره لى، فقال الله عز وجل: عبدى عمل ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدى، ثم عمل ذنباً آخر فقال: رب إنى عملت ذنباً فاغفره، فقال تبارك وتعالى: علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدى، ثم عمل ذنباً آخر فقال: رب إنى عملت ذنباً فاغفره لى، فقال الله عز وجل: علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنباً آخر فقال: رب، إنى عملت ذنباً فاغفره، فقال عز وجل: عبدى علم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى فليعمل ماشاء». أخرجه فى الصحيح<sup>(٦)</sup> من حديث إسحاق بن أبى طلحة بنحوه.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup>: حدثنا أبو النضر وأبو عامر، قالوا: حدثنا زهير، حدثنا سعد الطائى، حدثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين، سمع أبا هريرة، قلنا: يا رسول الله، إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد، فقال «لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم فى بيوتكم. ولو لم تدنوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم».

قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال «لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا

- (١) صحيح: الترمذي (٢٣٢٥)، أحمد (١٧٥٧٠)، من حديث أبى كبة الأنمارى، انظر صحيح جامع الترمذي.
- (٢) ضعيف: الحاكم (٣٢٣/٢)، برقم (٣١٦١)، وانظر ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٦٤).
- (٣) عزاه المصنف لابن مردويه، من حديث علي وكعب بن عجرة وأبى هريرة وأم سلمة رضى الله عنهم.
- (٤) عزاه المصنف لابن مردويه من طريق الضحاك به.
- (٥) صحيح: المسند (٧٨٨٨)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٣١٤٠).
- (٦) البخارى برقم (٧٥٠٧)، ومسلم برقم (٢٧٥٨).
- (٧) صحيح: المسند (٧٩٨٣)، انظر صحيح الجامع (٥٢٥٣).

يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي لأنصرك ولو بعد حين، ورواه الترمذي وابن ماجه<sup>(١)</sup> من وجه آخر من حديث سعد به، ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> بن حنبل: حدثنا وكيع، حدثنا مسعر وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن علي بن ربيعة، عن أسماء بن الحكم الفزاري عن علي رضي الله عنه، قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً، نفعتني الله بما شاء منه. وإذا حدثني عنه غيره استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني - وصدق أبو بكر - أنه سمع رسول الله ﷺ، قال: «ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء - قال مسعر - فيصلى - وقال سفيان - ثم يصلى ركعتين، فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له» وهكذا رواه علي بن المديني والحميدي وأبو بكر بن أبي شيبة وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والبخاري والدارقطني<sup>(٣)</sup> من طرق عن عثمان بن المغيرة به. وقال الترمذي: هو حديث حسن، وقد ذكرنا طرقه، والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبالجملة فهو حديث حسن، وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خليفة النبي أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. ومما يشهد بصحة هذا الحديث ما رواه مسلم<sup>(٤)</sup> في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء» وفي الصحيحين<sup>(٥)</sup> عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ، ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه» فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، عن سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين، كما دل عليه الكتاب المبين، من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين.

وقد قال عبد الرزاق<sup>(٦)</sup>: أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية، بكى.

وقال الحافظ أبو يعلى<sup>(٧)</sup>: حدثنا محرز بن عون، حدثنا عثمان بن مطر، حدثنا عبد الغفور عن

(١) ضعيف: الترمذي برقم (٣٥٩٨)، ابن ماجه برقم (١٧٥٢)، انظر ضعيف جامع الترمذي.

(٢) صحيح: المسند (٢)، انظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٢١).

(٣) صحيح: الحميدي (٤/١)، وابن أبي شيبة (١٥٩/٢) برقم (٧٦٤٢)، وأبو داود برقم (١٥٢١)، والترمذي برقم (٣٠٠٦)، والنسائي في الكبرى (١٠٩/٦)، برقم (١٠٢٤٧)، وابن ماجه برقم (١٣٩٥)، وابن حبان (٢/٣٨٩) برقم (٦٢٣)، والبخاري (١٨٨/١) برقم (٢١٠)، انظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٢١).

(٤) مسلم برقم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٥) البخاري برقم (١٦٠)، ومسلم برقم (٢٢٦).

(٦) من هذا الطريق أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩٦/٤)، ورجاله ثقات.

(٧) موضوع: أبو يعلى في مسنده (١/١٢٣)، برقم (١٣٦)، قال ابن كثير: عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان.

أبى نُصَيْرَةَ، عن أبى رجاء، عن أبى بكر رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال «عليكم بلا إله إلا الله، والاستغفار، فأكثروا منهما، فإن إبليس قال: أهلك الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون» عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان. وروى الإمام أحمد<sup>(١)</sup> فى مسنده من طريق عمرو بن أبى عمرو وأبى الهيثم العتوارى عن أبى سعيد، عن النبى ﷺ قال «قال إبليس: يا رب وعزتك لا أزال أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الله تعالى: وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى».

وقال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(٢)</sup>: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عمر بن أبى خليفة، سمعت أبا بدر يحدث عن ثابت، عن أنس، قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله، أذنبت ذنبًا، فقال رسول الله ﷺ «إذا أذنبت فاستغفر ربك. قال: فإنى أستغفر ثم أعود فأذنب قال: فإذا أذنبت فعد فاستغفر ربك، فقالها فى الرابعة استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور» وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعُرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أى لا يغفرها أحد سواه، كما قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا سلام بن مسكين والمبارك عن الحسن عن الأسود بن سريع أن النبى ﷺ أتى بأسير، فقال: اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبى ﷺ «عرف الحق لأهله» وقوله ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلًا مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أى تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه، كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلى<sup>(٤)</sup> فى مسنده: حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل وغيره، قالوا: حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد، عن أبى نُصَيْرَةَ، عن مولى لأبى بكر، عن أبى بكر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة» ورواه أبو داود والترمذى والبزار<sup>(٥)</sup> فى مسنده من حديث عثمان بن واقد - وقد وثقه يحيى بن معين به - وشيخه أبو نُصَيْرَةَ الواسطى واسمه مسلم بن عبيد، وثقه الإمام أحمد وابن حبان، وقول على بن المدينى والترمذى: ليس إسناد هذا الحديث بذلك، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبى بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تابعى كبير، وكفيه نسبه إلى أبى بكر، فهو حديث حسن، والله أعلم.

وقوله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال مجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن من تاب تاب الله عليه، وهذا كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وكقوله ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] ونظائر هذا كثيرة جدًا.

(١) صحيح: المسند (١١٣٢١)، انظر السلسلة الصحيحة (١٠٤).

(٢) عزاه الهيثمى فى المجمع (٢٠١/١٠)، للبزار، وقال: وفيه بشار بن الحكم الضبي ضعفه غير واحد وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به ببقية رجاله وثق.

(٣) المسند (١٥١٦٠) وفيه محمد بن مصعب: ضعفه بعضهم، وقال آخرون: صدوق.

(٤) ضعيف: أبو يعلى فى مسنده، (١٢٤/١)، برقم (١٢٤)، انظر المشكاة (٢٣٤٠).

(٥) ضعيف: أبو داود برقم (١٥١٤)، الترمذى برقم (٣٥٥٩)، والبزار (٢٠٥/١)، برقم (٢٩٣)، انظر ضعيف سنن أبى داود.

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا يزيد، أنبأنا حريز، حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعي عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون» تفرد به أحمد. ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي جزاؤهم على هذه الصفات ﴿مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من أنواع المشروبات ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين فيها ﴿وَيَقَمُّونَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ﴾ يمدح تعالى الجنة.

﴿قَدْ خَلتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿وَلِيَحْصَعَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكُفْرِينَ﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾

يقول تعالى مخاطباً عباده المؤمنين الذين أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون ﴿قَدْ خَلتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أي قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء، ثم كانت العاقبة لهم، والدائرة على الكافرين، ولهذا قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم. و ﴿وَهُدًى﴾ لقلوبكم، و ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي زاجر عن المحارم والمأثم. ثم قال تعالى مسلماً للمؤمنين ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي لا تضعفوا بسبب ما جرى ﴿وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ أي إن كنتم قد أصابتمكم جراح وقتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي ندبل عليكم الأعداء نارة، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قال ابن عباس: في مثل هذا النرى من يصير على مناجزة الأعداء ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ﴾ يعني يقتلون في سبيله ويبدلون مهجهم في مرضاته ﴿وَأَلَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيَحْصَعَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب. وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به. وقوله ﴿وَيَمْحَقَ الْكُفْرِينَ﴾ أي فإنهم إذا ظفروا بغوا ويطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحققهم وفنائهم، ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد، كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ

(١) صحيح: المسند (٦٥٠٥)، انظر السلسلة الصحيحة برقم (٤٨٢).

ءَامِنُوا مَعَهُ مَعَ نَصْرِ اللَّهِ الْآلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُبْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا بِهِمْ لَوْ لَمْ يَلْقَوْا نَصْرَ اللَّهِ لَظَلَمُوا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [المنكفوت: ١-٣]، ولهذا قال ههنا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمُ اللَّهُ الْعَذَابُ وَمَنْ يَأْتِكُمُ اللَّهُ الْعَذَابُ لَا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ سَبِيلًا﴾، والصابرين على مقاومة الأعداء.

وقوله ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ ﴿٢١٥﴾ أى قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم، تتمنون لقاء العدو وتحرقون عليهم وتودون مناجزتهم ومصابرتهم، فها قد حصل لكم الذى تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا، وقد ثبت فى الصحيحين (١) أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتمنون لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يعنى الموت شاهدتموه وقت لمعان السيوف وحاد الأسنة واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتحجيل. وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس كما تخيل الشاة صداقة الكبش، وعداوة الذئب.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٢١٦﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَانًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿٢١٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿٢١٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢١٩﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢٠﴾

لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل، ورجع ابن قميصة إلى المشركين، فقال لهم: قتلت محمداً، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه فى رأسه، فوقع ذلك فى قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف وهن وتأخر عن القتال، ففى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أى له أسوة بهم فى الرسالة وفى جواز القتل عليه، قال ابن أبى نجيج عن أبيه: أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشطح فى دمه فقال له: يا فلان أشعرت أن محمداً ﷺ قد قتل، فقال الأنصارى: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة. ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أى رجعتم القهقرى ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ

(١) البخارى برقم (٢٩٦٦)، مسلم برقم (١٧٤٢)، من حديث عبد الله بن أبى أوفى.

اللَّهُ شَيْئًا وَسَجَّزَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾ أى الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حيا وميتا. وكذلك ثبت فى الصحاح والمساند والسنن وغيرها من كتب الإسلام من طرق متعددة تفيد القطع، وقد ذكرت ذلك فى مسندى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن الصديق رضى الله عنه، تلا هذه الآية لما مات رسول الله ﷺ .

وقال البخارى <sup>(١)</sup> : حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرنى أبو سلمة أن عائشة رضى الله عنها، أخبرته أن أبى بكر رضى الله عنه، أقبل على فرس من مسكنه بالسنع حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتييم رسول الله ﷺ وهو مغطى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى، ثم قال : بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتبت عليك فقد ميتها، وقال الزهرى : حدثنى أبو سلمة عن ابن عباس أن أبى بكر خرج وعمر يحدث الناس فقال : اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر : أما بعد من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ - إلى قوله - ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ قال : فو الله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما سمعها بشر من الناس إلا تلاها، وأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبى بكر تلاها فَعَقِرْتُ حتى ما تغلنى رجلاى، وحتى هويت إلى الأرض .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا على بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد، حدثنا أسباط بن نصر عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن علياً كان يقول فى حياة رسول الله ﷺ ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قَبِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ﴾ والله لا نغلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إنى لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به منى؟ وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ أى لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفى المدة التى ضربها الله له، ولهذا قال ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ كقوله ﴿وَمَا يَمُرُّ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر : ١١] وكقوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ يُسَمَّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام : ٢] وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم فى القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه، كما قال ابن أبى حاتم : حدثنا العباس بن يزيد العبدى قال : سمعت أبا معاوية عن الأعمش عن حبيب بن صهبان، قال : قال رجل من المسلمين وهو حُجْر بن عدى : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة - يعنى دجلة - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ ثم أقحم فرسه دجلة، فلما أقحم، أقحم الناس، فلما رآهم العدو قالوا : ديوان فهربوا . وقوله ﴿وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ اللَّهِ تَوَاتُومًا مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تَوَاتُومًا مِنْهَا﴾ أى من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدره الله له، ولم يكن له فى الآخرة نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها

(١) البخارى برقم (٤٤٥٤).

مع ما قسم له في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَدَاكَ تُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَكَ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يَدَاكَ تُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَكَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩] ولهذا قال ههنا ﴿وَسَجَّزَى الشَّاكِرِينَ﴾ أى سنعطئهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم، ثم قال تعالى مسلبياً للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد ﴿وَكُلَّيْنِ مِنْ نَبِيِّ قَتَلْتُمْ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرًا﴾ قيل: معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير.

وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال: وأما الذين قرءوا ﴿قَتَلْتُمْ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرًا﴾ فإنهم قالوا: إنما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم، وإنما نفى الوهن والضعف عن من بقى من الربيين ممن لم يقتل، قال: ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك، لأنه قال: لو قتلوا لم يكن لقول الله ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا، ثم اختار قراءة من قرأ ﴿قَتَلْتُمْ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرًا﴾ لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قتل، فعذلم الله على فراهم وتركهم القتال، فقال لهم ﴿أَفَأَنْتُمْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم و﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ وقيل: وكم من نبي قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير، وكلام ابن إسحاق في السيرة يقتضى قولاً آخر، فإنه قال: وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون أى جماعات فما وهنوا بعد نبئهم، وما ضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم، وذلك الصبر ﴿وَأَلَّهَ يَجِبُ الصَّبْرِينَ﴾ فجعل قوله ﴿مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرًا﴾ حالاً، وقد نصر هذا القول السهلى وبالغ فيه، وله اتجاه لقوله ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾ الآية، وكذا حكاها الأملوى في مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم ولم يحك غيره، وقرأ بعضهم ﴿قَتَلْتُمْ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرًا﴾ قال سفيان الثوري، عن عاصم، عن زر عن ابن مسعود ﴿رَيْثُونَ كَثِيرًا﴾ أى ألوف، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والسدى والربيع وعطاء الخراساني: الربيون الجموع الكثيرة وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن ﴿رَيْثُونَ كَثِيرًا﴾ أى علماء كثير، وعنه أيضاً: علماء صبر أبرار وأتقياء.

وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل، قال: ورد بعضهم عليه فقال: لو كان كذلك لقليل: الربيون بفتح الراء، وقال ابن زيد: الربيون الأتباع والرعية، والربانيون الولاة. ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَمُوعُوا وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ قال قتادة والربيع بن أنس ﴿وَمَا ضَمُوعُوا﴾ بقتل نبئهم ﴿وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ يقول: فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم أن قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله، وقال ابن عباس ﴿وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ تخشعوا، وقال السدى وابن زيد: وما ذلوا لعدوهم، وقال محمد بن إسحاق والسدى وقتادة: أى ما أصابهم ذلك حين قتل نبئهم ﴿وَأَلَّهَ يَجِبُ الصَّبْرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكَبِّرْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أى لم يكن لهم هجير إلا ذلك ﴿فَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أى النصر والظفر والمعاقبة ﴿وَحُسْنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ أى جمع لهم ذلك مع هذا ﴿وَأَلَّهَ يَجِبُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَيَّ أَغْفِيكُمْ فَتَقْبَلُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤١﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٤٢﴾ سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَيَتَسَمَّوْنَ الْفُلُجِيَّةَ ﴿١٤٣﴾ وَلَقَدْ مَدَدْنَا لَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أُرْسِلْتُمْ مِنْ أَنْ تُجِبُوا بَيْنَكُمْ مِنْ يَرِيدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَرِيدُ الْآخِرَةِ ثُمَّ مَكَّرْتُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٤﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ فَأَتَيْتُمْ عَمَّا بَيْنَكُمْ بِغَيْرِ لِحْوَاحٍ تَحَزَّنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾﴾

ثلاثة  
أربع  
الحزب  
٧

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين، فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَيَّ أَغْفِيكُمْ فَتَقْبَلُوا خَاسِرِينَ﴾ ثم أمرهم بطاعته وموالاته والإستعانة به والتوكل عليه، فقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ثم بشرهم بأنه سيلقى في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم، مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال، فقال ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَيَتَسَمَّوْنَ الْفُلُجِيَّةَ﴾ وقد ثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> عن جابر بن عبد الله أن رسول الله قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لى الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: «حدثنا محمد بن أبى عدى عن سليمان التيمى عن سيار عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال «فضلنى ربى على الأنبياء - أو قال على الأمم - بأربع: قال: أرسلت إلى الناس كافة، وجعلت لى الأرض كلها ولأمتى مسجداً وطهوراً فأينما أدركت رجلاً من أمتى الصلاة فعنده مسجده وطهوره، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه فى قلوب أعدائى، وأحلت لى الغنائم». ورواه الترمذى<sup>(٣)</sup> من حديث سليمان التيمى عن سيار القرشى الأموى مولاهم الدمشقى سكن البصرة، عن أبى أمامة صدق بن عجلان رضى الله عنه به، وقال: حسن صحيح.

وقال سعيد بن منصور: أنبأنا ابن وهب، أخبرنى عمرو بن الحارث أن أبى يونس حدثه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «نصرت بالرعب على العدو»، ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> من حديث ابن وهب.

(١) البخاري برقم (٣٣٥)، مسلم برقم (٥٢١).

(٢) صحيح: المسند (٢١٦٣٢)، انظر صحيح الجامع (١٧٨٠).

(٣) صحيح: الترمذى برقم (١٥٥٣)، وانظر صحيح جامع الترمذى.

(٤) مسلم برقم (٥٢٣).

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبيه أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي، ونصرت بالرعب شهرا، وأعطيت الشفاعة، وليس من نبي إلا وقد سأل شفاعته وإني اختبأت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات لا يشرك بالله شيئا» تفرد به أحمد. وروى العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قال: قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب» رواه ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ﴾.

قال ابن عباس: وعدهم الله النصر، وقد استدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدَدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥] أن ذلك كان يوم أحد، لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام، فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة، تأخر الوعد الذي كان مشروطا بالثبات والطاعة، ولهذا قال ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ﴾ أي أول النهار ﴿إِذْ تَحُسُونَهُمْ﴾ أي تقتلونهم ﴿بِأَذْنِهِ﴾ أي بتسليطه إليكم عليهم ﴿حَقَّ إِذَا فَسَلْتُمْ﴾ وقال ابن جريج: قال ابن عباس: الفسل الجبن ﴿وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَصَصَيْتُمْ﴾ كما وقع للرماة ﴿وَبَيْنَ بَعْدِ مَا أَرْسَلْتُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ وهو الظفر منهم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ مَكَنَّاكُمْ عَنْهُمْ لِبَنَائِكُمْ﴾ ثم أذلهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ أي غفر لكم ذلك الصنيع، وذلك، والله أعلم، لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم، قال ابن جريج: قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ قال: لم يستأصلكم، وكذا قال محمد بن إسحاق: رواهما ابن جرير ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال: ما نصر النبي ﷺ في موطن كما نصره يوم أحد، قال: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله، إن الله يقول في يوم أحد ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ﴾ يقول ابن عباس والحسن: القتل ﴿حَقَّ إِذَا فَسَلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَصَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْتُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الآية، وإنما عنى بهذا الرماة، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: «احموا ظهورنا، فإن رأيتونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتونا قد غنمنا فلا تشركونا» فلما غنم النبي ﷺ، وأباحوا عسكر

(١) المسند (٥٩٢٣٦) ورجاله ثقات.

(٢) عزاه المصنف لابن أبي حاتم، وفيه عطية العوفي، قال الرازي: ضعيف يكتب حديثه، وقال أحمد: ضعيف الحديث.

(٣) المسند (٢٦٠٤)، وفيه عطاء بن السائب: اختلط.

المشركين، أكب الرماة جميعًا دخلوا في العسكر يتهبون، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم هكذا - وشبك بين يديه - وانتشبا، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ، فضرب بعضهم بعضًا، والتبسوا وقتل من المسلمين، ناس كثير، وقد كان النصر لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، إنما كانوا تحت المهراس، وصاح الشيطان: قتل محمد، فلم يشكوا به أنه حق، فلا زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بتلفته إذا مشى، قال: ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا، قال: فرقى نحونا وهو يقول: «اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله» ويقول مرة أخرى: «اللهم إنه ليس لهم أن يعلنوا» حتى انتهى إلينا فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل اعل هبل - مرتين يعني إلهه - أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال «بلى». فلما قال: اعل هبل.

قال عمر: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان: قد أنعمت عينها فعاد. عنها أو فعَالَ. فقال أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر، هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر. قال: فقال أبو سفيان، يوم بيوم بدر، الأيام دول، وإن الحرب سجال، قال: فقال: عمر لا سواء قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. قال: إنكم تزعمون ذلك، فقد خبنا وخسرنا إذن، فقال أبو سفيان: إنكم ستجدون في قتلاكم مثلة ولم يكن ذلك عن رأى سراتنا. قال: ثم أدركته حمية الجاهلية، فقال: أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه، هذا حديث غريب وسياق عجيب، وهو من مراسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحدًا ولا أبوه، وقد أخرجه الحاكم<sup>(١)</sup> في مستدركه عن أبي النصر الفقيه، عن عثمان بن سعيد، عن سلمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس به، وهكذا رواه ابن أبي حاتم والبيهقي<sup>(٢)</sup> في دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الهاشمي به. ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها فقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن عطاء بن السائب، عن الشعبي، عن ابن مسعود، قال: إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس منا أحد يريد الدنيا، حتى أنزل الله ﴿يُنَكِّمُ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَيُنَكِّمُ مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ فلما خالف أصحاب رسول الله ﷺ، وعصوا ما أمروا به، أفرد النبي ﷺ في تسعة: سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، وهو عاشرهم ﷺ، فلما رهنقه قال: «رحم الله رجلاً ردهم عنا» قال: فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل، فلما رهنقه أيضًا قال: «رحم الله رجلاً ردهم عنا» فلم يزل يقول ذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبه:

(١) الحاكم في المستدرک (١١١/٦)، برقم (٣٢٤/٢) برقم (٣١٦٣)، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد: ضعفه بعضهم، وقيل: لا يحتج بحديثه.

(٢) رواه هذا الإسناد الطبراني في «الكبير» (٣٠١/١٠) برقم (١٠٧٣١)، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، انظر التعليق السابق.

(٣) المسند (٤٤٠٠)، وفيه عطاء بن السائب: اختلط.

«ما أنصفنا أصحابنا» فجاء أبو سفيان فقال: اعل هبل: فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله أعلى وأجل»، فقالوا: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان، لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا والكافرون لا مولى لهم» فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر.

فيوم علينا ويوم لنا  
حنظلة بحنظلة وفلان وفلان وفلان.

فقال رسول الله ﷺ: «لا سواء: أما قتلنا فأحياء يرزقون، وأما قتلكم ففي النار يعذبون» فقال أبو سفيان، لقد كان في القوم مثله، وإن كان لعن غير ملامنا، ما أمرت ولا نهيت، ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءنى ولا سرنى، قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها. فقال رسول الله ﷺ: «أكلت شيئاً؟ قالوا: لا. قال: «ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار» قال: فوضع رسول الله ﷺ: حمزة فصلى عليه، وجىء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه، فرفع الأنصارى وترك حمزة حتى جىء بأخر فوضع إلى جنب حمزة فصلى عليه، ثم رفع وترك حمزة، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة، تفرد به أحمد أيضاً. وقال البخارى<sup>(١)</sup>: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير، وقال «لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا» فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتدن في الجبل رفن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة.

فقال عبد الله بن جبير: عهد إلى النبي ﷺ أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً، فأشرف أبو سفيان فقال: أفى القوم محمداً؟ فقال «لا تجيبوه». فقال: أفى القوم ابن أبى قحافة؟ قال «لا تجيبوه». فقال: أفى القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قد قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه فقال له: كذبت يا عدو الله قد أبقى الله لك ما يحزنك، قال أبو سفيان: اعل هبل. فقال النبي ﷺ: «أجيبوه» قالوا: ما نقول قال: «قولوا: الله أعلى وأجل». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤنى، تفرد به البخارى من هذا الوجه، ثم رواه<sup>(٢)</sup> عن عمرو بن خالد عن زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن البراء بنحوه، وسيأتى بأبسط من هذا وقال البخارى<sup>(٣)</sup> أيضاً: حدثنا عبيد الله بن سعيد، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس: أى عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم، فبصر حذيفة، فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أى عباد الله أبى أبى. قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم.

(١) البخارى برقم (٤٠٤٣).

(٢) البخارى برقم (٣٠٣٩).

(٣) البخارى برقم (٤٠٦٥).

قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل . وقال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup>: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده أن الزبير بن العوام قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند وصواحيباتها مشمرات هوارب ما دون أخذهن كثير ولا قليل، ومالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخليل، فأتتنا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم. قال محمد بن إسحاق: فلم يزل لواء المشركين صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش فلاثوا به. وقال السدي، عن عبد خير قال: قال عبد الله بن مسعود: ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد ﴿يُنَافِسُكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ وقد روى من غير وجه عن ابن مسعود، وكذا روى عن عبد الرحمن بن عوف وأبي طلحة، رواه ابن مردويه في تفسيره، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَكَرَ كَيْدَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup>: حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أحد بني عدى بن النجار، قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يخليكم؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رضی الله عنه، وقال البخاري<sup>(٣)</sup>: حدثنا حسان بن حسان، حدثنا محمد بن طلحة، حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن عمه يعني أنس بن النضر، غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدني الله مع رسول الله ليرين الله ما أجد، فلقى يوم أحد فهزم الناس، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ، فقال: أين يا سعد إني أجد ريح الجنة دون أحد، فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته بينانه بشامة، وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم، هذا لفظ البخاري، وأخرجه مسلم<sup>(٤)</sup> من حديث ثابت عن أنس بنحوه وقال البخاري<sup>(٥)</sup> أيضاً: حدثنا عبدان، حدثنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب، قال: جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سألتك عن شيء فحدثني، قال: سل، قال: أنشدك بحرمة هذا البيت، أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد؟ قال: نعم. قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا؟ قال: نعم. قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم. فكبر، فقال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه» وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان، فكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ

(١) ابن جرير برقم (٤/١٢٦).

(٢) ابن جرير برقم (٤/١١٣).

(٣) البخاري برقم (٤٠٤٨).

(٥) البخاري برقم (٤٠٦٦).

(٤) مسلم برقم (١٩٠٣).

بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» ف ضرب بها على يده فقال: «هذه يد عثمان اذهب بها الآن معك» ثم رواه البخاري<sup>(١)</sup> من وجه آخر عن أبي عوانة، عن عثمان بن عبد الله بن موهب.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تُصِيدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ أى صرفكم عنهم إذ تصعدون أى فى الجبل هاربين من أعدائكم. وقرأ الحسن وقتادة «إِذْ تَضَعُونَ» أى فى الجبل ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ أى وأنتم لا تلوون على أحد من الدهش والخوف والرعب ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ﴾ أى وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء، وإلى الرجعة والعودة والكره. قال السدى: لما شدّ المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها. فجعل الرسول ﷺ يدعو الناس «إلى عباد الله، إلى عباد الله» فذكر الله صعودهم إلى الجبل، ثم ذكر دعاء النبى ﷺ إياهم، فقال ﴿إِذْ تُصِيدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ وكذا قال ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد. وقال عبد الله بن الزبيرى: يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد فى قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التى يقول فى أولها:

يا غراب البين أسمعت فقل      إنما تنطق شيئاً قد فعل  
إن للخير وللشر مدى      وكلا ذلك وجه وقبل  
إلى أن قال:

ليت أشياخى ببدر يشهدوا      جزع الخزرج من وقع الأسل  
حين جلت بقباء بركها      واستحرق القتل فى عبد الأشل  
ثم خفوا عند ذاكم رُقْصاً      رقص الحفان يعلو فى الجبل  
فقتلنا الضعف من أشرافهم      وعدلنا ميل بدر فاعتدل

الحفان: صغار النعم. وقد كان النبى ﷺ قد أفرد فى اثنى عشر رجلاً من أصحابه كما قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: «حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق عن البراء بن عازب رضى الله عنه، قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال: ووضعهم موضعاً، وقال «إن رأيتمونا تخططنا الطير، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطاناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، قال فهزموهم قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن، فقال: أصحاب عبد الله الغنيمة، أى قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟»

قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قاله لكم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: إنا والله لنائين الناس، فلنصين من الغنيمة. فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك الذى يدعوهم الرسول فى أخراهم، فلم يبق مع رسول الله إلا اثنا عشر رجلاً، فأصابوا من سبعين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً. قال أبو سفيان: أفى القوم محمد، أفى القوم محمد؟ - ثلاثاً - قال. فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفى القوم ابن أبى قحافة؟

(١) البخاري (٣٦٩٨).

(٢) صحيح: أحمد (١٨١٢٠)، انظر صحيح سنن أبى داود.

أفى القوم ابن أبى قحافة؟ أفى القوم ابن الخطاب؟ أفى القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عدت لأحياء كلهم، وقد بقى لك ما يسوؤك، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال. وإنكم ستجدون فى القوم مثلة لم أمر بها، ولم تسؤنى. ثم أخذ يرتجز يقول: اعل هبل اعل هبل، فقال رسول الله ﷺ «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال «قولوا الله أعلى وأجل» قال: لنا العزى ولا عزى لكم. قال رسول الله ﷺ «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» وقد رواه البخارى <sup>(١)</sup> من حديث زهير بن معاوية مختصراً، ورواه <sup>(٢)</sup> من حديث إسرائيل عن أبى إسحاق بأبسط من هذا كما تقدم، والله أعلم - وروى البيهقى <sup>(٣)</sup> فى دلائل النبوة من حديث عمارة بن غزوة، عن أبى الزبير، عن جابر، قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار، وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد الجبل، فلقيه المشركون، فقال «ألا أحد لهؤلاء» فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال «كما أنت يا طلحة».

فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقى معه، ثم قتل الأنصارى فلحقوه، فقال «ألا رجل لهؤلاء» فقال طلحة، مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه وأصحابه يصعدون، ثم قتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول، فيقول طلحة: فأنا يا رسول الله، فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال، فيأذن له، فيقاتل مثل من كان قبله، حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما، فقال: رسول الله ﷺ «من لهؤلاء» فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله، وأصيبت أنامله، فقال حس، فقال رسول الله ﷺ «لو قلت باسم الله وذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك فى جو السماء» ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون. وقد روى البخارى <sup>(٤)</sup> عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن وكيع، عن إسماعيل، عن قيس بن أبى حازم، قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى ﷺ، يعنى يوم أحد - وفى الصحيحين <sup>(٥)</sup> من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه، عن أبى عثمان النهدي، قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ، فى بعض الأيام التى قاتل فيهن رسول الله ﷺ، إلا طلحة بن عبيد الله وسعد عن حديثهما.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية، عن هاشم بن هاشم الزهرى، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت سعد بن أبى وقاص يقول: نثلى رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال «ارم فداك أبى وأمى».

وأخرجه البخارى <sup>(٦)</sup> عن عبد الله بن محمد، عن مروان بن معاوية، وقال محمد بن إسحاق: حدثنى صالح بن كيسان عن بعض آل سعد، عن سعد بن أبى وقاص، أنه رمى يوم أحد دون

(٢) سبق تخريجه.

(١) البخارى برقم (٣٠٣٩).

(٣) من هذا الطريق أخرجه الطبراني فى «الأوسط» (٨/٣٠٤) برقم (٨٧٠٤).

(٥) البخارى برقم (٣٧٢٣)، ومسلم برقم (١٤١٤).

(٤) البخارى برقم (٤٠٦٣).

(٦) البخارى برقم (٤٠٥٥).

رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل ويقول «ارم فذاك أبي وأمي» حتى إنه لناولني السهم ليس له نصل فأرمى به - وثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> من حديث إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ، وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ما رأتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده، يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام - وقال حماد بن سلمة<sup>(٢)</sup> عن علي بن زيد وثابت عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار، واثنين من قريش، فلما أرهقوه قال «من يردهم عنا وله الجنة - أو وهو رفيقي في الجنة» فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم أرهقوه أيضًا، فقال «من يردهم عنا وله الجنة» فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه «ما أنصفنا أصحابنا» رواه مسلم عن هذبة بن خالد، عن حماد بن سلمة به نحو، وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير، قال: كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلقته، قال «بل أنا أقتله إن شاء الله» فلما كان يوم أحد، أقبل أبي في الحديد مقتنًا وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير، أخو بني عبد الدار، يقى رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف، من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة وطعنه فيها بحربته، فوقع إلى الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك إنما هو خدش؟ فذكر لهم قول رسول الله ﷺ «بل أنا أقتل أبيًا» ثم قال: والذي نفسى بيده لو كان هذا الذي بي، بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعين، فمات إلى النار ﴿فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ النَّعِيرِ﴾<sup>(٣)</sup> [الملك: ١١] وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب بنحوه - وذكر محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup>، قال: لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب، أدركه أبي بن خلف وهو يقول: لا نجوت إن نجوت، فقال القوم: يا رسول الله يعطف عليه رجل منا، فقال رسول الله ﷺ «دعوه» فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فقال بعض القوم - كما ذكر لي - فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدادأ منها عن فرسه مرارًا - وذكر الواقدي<sup>(٥)</sup> عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، نحو ذلك.

قال الواقدي: وكان ابن عمر يقول مات أبي بن خلف ببطن رابع، فإني لأسير ببطن رابع بعد هوى من الليل، إذا أنا بنار تاجج فهبتها، فإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يهيج به العطش، وإذا

(١) البخاري برقم (٤٠٥٤)، ومسلم برقم (٢٣٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٩).

(٣) الحاكم في «المستدرک» (٣٥٧/٢)، برقم (٣٢٦٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٦٠٢/٢) برقم (٢٥٣)، وقال: إسناده المصنف ضعيف.

(٥) انظر تحريج الحديث السابق.

رجل يقول: لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ. هذا أبي بن خلف - وثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> من رواية عبد الرزاق عن معمر، عن همام بن منبه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله ﷺ - وهو حينئذ يشير إلى ربايته - واشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله» وأخرجه البخاري<sup>(٢)</sup> أيضاً من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ بيده في سبيل الله، واشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup>: أصيبت رباعية رسول الله ﷺ، وشج في وجته، وكلمت شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص، فحدثني صالح بن كيسان، عن حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص إن كان ما علمته لسيئ الخلق مبغضاً في قومه، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على من دَمَى وجه رسول الله ﷺ» - وقال عبد الرزاق<sup>(٤)</sup>: أنبأنا معمر عن الزهري، عن عثمان الجزري، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر ربايعته ودَمَى وجهه، فقال «اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار - وذكر الواقدي<sup>(٥)</sup> عن ابن أبي سيرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبي الحويرث، عن نافع بن جبير، قال: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول: شهدت أحدًا فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها، كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ، دلوني على محمد لا نجوت إن نجا، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ليس معه أحد، ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان، فقال والله ما رأيت أحلف بالله إنه منا ممنوع! خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك، قال الواقدي: والذي ثبت عندنا، أن الذي دَمَى في وجتي رسول الله ﷺ ابن قميته، والذي دَمَى شفته وأصاب ربايعته عتبة بن أبي وقاص.

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٦)</sup>: حدثنا ابن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها، قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد، قال: ذلك يوم كله لطلحة ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه وأراه قال حمية، فقال: فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي أحب إلى وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو

(١) البخاري بزم (٤٠٧٣)، ومسلم برقم (١٧٩٣).

(٢) البخاري برقم (٤٠٧٤).

(٣) أخرجه الدورقي في «مسند سعد» (١٥٢/١) برقم (٩٠)، وللحديث شاهد في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٩٠/٥) برقم (٩٦٤٩) وإسناده مرسل.

(٥) عزاه القرطبي في تفسيره (١٨٧/٤) للواقدي.

(٦) ضعيف: الطيالسي في «مسنده» (٣/١) برقم (٦)، وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة: متروك.

يخطف المشى خطفًا لا أعرفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ، وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر، فقال رسول الله ﷺ «عليكما صاحبكما يريد طلحة» وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله، قال: وذهبت لأن أنزع ذلك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أفسمت عليك بحقى لما تركتني فتركته، فكره أن يتناولها بيده فيؤذى رسول الله ﷺ، فأزّم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيتيه مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع، فقال: أفسمت عليك بحقى لما تركتني، قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى، فوقعت ثنيتيه الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة أحسن الناس هتمًا، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه، فأصلحنا من شأنه، ورواه الهيثم بن كليب والطبراني<sup>(١)</sup> من حديث إسحاق بن يحيى به. وعند الهيثم فقال أبو عبيدة: أنشدك الله يا أبا بكر إلا تركتني؟ فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه، فجعل ينضضه كراهية أن يؤذى رسول الله ﷺ ثم استل السهم بفيه فبدرت ثنية أبو عبيدة، وذكر تمامه، واختاره الحافظ الضياء المقدسى في كتابه، وقد ضعف على بن المدينى هذا الحديث من جهة إسحاق بن يحيى هذا فإنه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان وأحمد ويحيى بن معين والبخارى وأبو زرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وغيرهم.

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن مالكا أبا أبي سعيد الخدرى لما جرح النبي ﷺ يوم أحد مص الجرح حتى أنقاه ولاح أبيض فقيل له: مجه، فقال: لا والله لا أمجه أبدًا، ثم أدبر يقاتل، فقال النبي ﷺ «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»<sup>(٢)</sup> فاستشهد. وقد ثبت في الصحيحين<sup>(٣)</sup> من طريق عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد، أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه ﷺ، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم وكان على يسكب عليه الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رمادًا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَأَكُمْ عَمَّا بِفِعْرٍ أَي فَعَزَاكُمْ عَمَّا عَلَى غَم، كما تقول العرب: نزلت بنى فلان، ونزلت على بنى فلان.

وقال ابن جرير<sup>(٤)</sup>: وكذا قوله ﴿وَأَصْلَيْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أى على جذوع النخل، قال ابن عباس: الغم الأول بسبب الهزيمة، وحين قيل قتل محمد ﷺ، والثانى حين علاهم المشركون فوق الجبل، وقال النبي ﷺ: «اللهم ليس لهم أن يعلونا» وعن عبد الرحمن بن عوف: الغم الأول بسبب الهزيمة، والثانى حين قيل قتل محمد ﷺ كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة، رواهما ابن مردويه، وروى عن عمر بن الخطاب نحو ذلك، وذكر ابن أبي حاتم، عن قتادة نحو ذلك أيضًا وقال

(١) ضعيف: كسابقه.

(٢) مرسل: أورده ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣١/١).

(٣) البخاري برقم (٢٩١١)، ومسلم برقم (١٧٩٠).

(٤) ابن جرير (٤/١٣٧).

السدى: الغم الأول بسبب ما فاتهم من الغنيمة والفتح، والثانى بإشراف العدو عليهم.  
وقال محمد بن إسحاق ﴿فَأَذَبْتُكُمْ عَمَّا بَغَرْتُمْ﴾ أى كريباً بعد كرب قتل مَنْ قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم، وما وقع فى أنفسكم من قول من قال: قتل نبيكم، فكان ذلك متابعا عليكم غمًا بغم، وقال مجاهد وقتادة: الغم الأول سماعهم قتل محمد، والثانى ما أصابهم من القتل والجراح، وعن قتادة والربيع بن أنس عكسه.

وعن السدى: الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والثانى إشراف العدو عليهم، وقد تقدم هذا القول عن السدى. قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال ﴿فَأَذَبْتُكُمْ عَمَّا بَغَرْتُمْ﴾ فأتابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح، يومئذ بعد الذى كان قد أراكم فى كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم أمر ربكم، وخلافكم أمر نبيكم ﷺ غم ظنكم أن نبيكم قد قتل وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم. وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أى على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من الجراح والقتل، قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف والحسن وقتادة والسدى، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سبحانه ويحمده لا إله إلا هو جل وعلا.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ النَّعَمِ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

يقول تعالى مبتثا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذى غشيهم وهم مُسْتَلْثَمُو السِّلَاحِ فى حال مهمهم وغمهم، والنعاس فى مثل تلك الحال دليل على الأمان، كما قال تعالى فى سورة الأنفال فى قصة بدر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِيحَ الشَّيْطَانِ وَيَلْبِسَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَرِيحَتِ بِهِ الْأَقْدَامِ﴾ [الأنفال: ١١]، وقال ابن أبى حاتم (١): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو نعيم ووكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبى رزين، عن عبد الله بن مسعود، قال: النعاس فى القتال من الله وفى الصلاة من الشيطان، وقال البخارى (٢) وقال لى خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة، عن أنس، عن أبى طلحة، قال: كنت فىمن تغشاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفى من يدى مرارا، يسقط وأخذه، ويسقط وأخذه، وهكذا رواه فى المغازى معلقا، ورواه فى كتاب التفسير مسندا عن شيبان، عن قتادة، عن أنس، عن أبى طلحة، قال: غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد، قال فجعل سيفى يسقط من يدى وأخذه

(١) عزاه المصنف لابن أبى حاتم عن أبى رزين عن ابن مسعود رضى الله عنه.

(٢) البخارى برقم (١٣٣٨).

ويسقط وآخذه . وقد رواه الترمذى والنسائى والحاكم<sup>(١)</sup> من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبى طلحة، قال، رفعت رأسى يوم أحد وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميل تحت جحفته من النعاس، لفظ الترمذى وقال: حسن صحيح، ورواه النسائى<sup>(٢)</sup> أيضًا، عن محمد بن المثنى، عن خالد بن الحارث، عن أبى قتيبة، عن ابن أبى عدى، كلاهما عن حميد، عن أنس قال: قال أبو طلحة: كنت فيمن ألقى عليه النعاس، الحديث، وهكذا روى عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف.

وقال البيهقى: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنى أبو الحسين محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفى، حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخزومى، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه . قال: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق ﴿يَطْتُونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أى إنما هم كذبة أهل شك ورب فى الله عز وجل هكذا رواه بهذه الزيادة وكأنها من كلام قتادة رحمه الله وهو كما قال، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ السَّمَاءِ سَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ يعنى أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يعنى لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ﴿يَطْتُونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ كما قال فى الآية الأخرى ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ بَنُقَلِّبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢] إلى آخر الآية، وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة، ثم أخبر تعالى عنهم أنهم ﴿يَقُولُونَ﴾ فى تلك الحال ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ﴾ ثم فسر ما أخفوه فى أنفسهم بقوله ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾ أى يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ .

قال محمد بن يسار بن إسحاق<sup>(٣)</sup>: فحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال الزبير: لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقته فى صدره، قال: فو الله إنى لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعُه إلا كالحلم يقول: ﴿لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾ فحفظتها منه وفى ذلك أنزل الله ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾ لقول معتب، رواه ابن أبى حاتم<sup>(٤)</sup>. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِنْ مَضَّاجِعِهِمْ﴾ أى هذا قدر قدره الله عز وجل وحكم حتم لا

(١) صحيح: الترمذى برقم (٣٠٠٧)، والنسائى فى «الكبرى» (٣٤٩/٦) برقم (١١١٩٨)، والحاكم فى

«المستدرک» (٣٢٥/٢) برقم (٣١٦٤)، انظر صحيح جامع الترمذى.

(٢) النسائى فى «الكبرى» (٣١٦/٦) برقم (١١٠٨٠).

(٣) ابن جرير (١٤٣/٤).

(٤) عزاه المصنف لابن أبى حاتم.

محيد عنه ولا مناص منه، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَبْتَغِيَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُلُوبِكُمْ وَلَيَمَجِّصَنَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي ببعض ذنوبهم السابقة كما قال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنه بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها، ثم قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي عما كان منهم من الفرار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم، وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان وتولية يوم أحد وأن الله قد عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٢) ومناسب ذكره ههنا. قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا زائدة، عن عاصم، عن شقيق، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد ما لي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم حنين.

قال عاصم: يقول يوم أحد: ولم أتخلف عن بدر ولم أترك سنة عمر، قال: فانطلق فأخبر بذلك عثمان، قال: فقال عثمان: أما قوله إنني لم أفر يوم حنين، فكيف يعيرني بذنبي قد عفا الله عنه فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ وأما قوله إنني تخلفت يوم بدر، فإنني كنت أمضيت رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهد، وأما قوله إنني تركت سنة عمر فإنني لا أطيقها ولا هو، فاته فحدثه بذلك.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكَوُّنُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد، الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب، لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكَوُّنُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي عن إخوانهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي سافروا للتجارة ونحوها ﴿أَوْ كَانُوا غُرَىٰ﴾ أي كانوا في الغزو ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾ أي في البلد ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي ما ماتوا في السفر، وما قتلوا في الغزو وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم، ثم قال تعالى رداً عليهم ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي بيده الخلق وإليه يرجع الأمر، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزداد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي علمه ويصره نافذ في جميع خلقه، لا يخفى عليه من أمورهم شيء، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ

(١) المسند (٤٩٢)، ورجاله ثقات.

مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضًا، وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه، وذلك خير من البقاء في الدنيا وجمع حطامها الفاني، ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمصيره ومرجه إلى الله عز وجل، فيجزيه بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ .

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَسُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إن يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَمَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرِفُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَمِنْ أَنْتَبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَّالِينَ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾

يقول تعالى مخاطبًا رسوله، امتنًا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره، التاركين لزوجره، وأطاب لهم لفظه ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ﴾ أي: أي شيء جعلك لهم لينًا، لولا رحمة الله بك وبهم، وقال قتادة ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ﴾ يقول فبرحمة من الله لنت لهم، وما صلة، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وبالنكرة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠] وهكذا هنا قال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ﴾ أي برحمة من الله، وقال الحسن البصري هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا حيوة، حدثنا بقرية، حدثنا محمد بن زياد، حدثني أبو راشد الخبراني قال: أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي وقال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال «يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين لى قلبه» تفرد به أحمد، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَسُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ والفظ الغليظ، والمراد به هنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي لو كنت سىء الكلام، قاسى القلب عليهم لا نفصوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: «إنى أرى صفة رسول الله ﷺ فى الكتب المتقدمة إنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صحاب فى الأسواق ولا يجرى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»<sup>(٢)</sup>، وقال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى<sup>(٣)</sup>: أنبأنا بشر بن عبيد الدارى، حدثنا عمار بن عبد الرحمن عن المسعودى عن ابن أبى مليكة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن الله أمرنى

(١) صحيح: المسند (٢١٧٩٦)، انظر السلسلة الصحيحة (١٠٩٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٨).

(٣) ضعيف جدًا: عزاه العجلوني في «كشف الخفاء» (٢٥٨/١) للديلمي، انظر ضعيف الجامع (١٥٦٧).

بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض» حديث غريب. ولهذا قال تعالى: ﴿فَاعْتَفِ عَنْهُمْ وَاَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطيباً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: يا رسول الله، لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون: ولكن نقول اذهب، فنحن معك، وبين يديك، وعن يمينك، وعن شمالك مقاتلون، وشاورهم أيضاً أين يكون المنزل، حتى أشار المنذر بن عمرو المُعْتَق ليموت، بالتقدم أمام القوم. وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامئذ، فأبى ذلك عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على فرارى المشركين.

فقال له الصديق: إنا لم نجىء لقتال أحد وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال، وقال ﷺ في قصة الإفك «أشيروا على معشر المسلمين في قوم أنبوا أهلى ورموهم، وإيم الله ما علمت على أهلى من سوء وأبنوهم بمن؟ والله ما علمت عليه إلا خيراً» واستشار علياً وأسامة في فراق عائشة رضى الله عنها. فكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجباً عليه أو من باب الندب تطيباً لقلوبهم؟ على قولين.

وقد قال الحاكم في مستدرکه: أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر، حدثنا سعيد بن أبي مریم، أنبأنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت في أبي بكر وعمر، وكنا حواريتى رسول الله ﷺ ووزيريه، وأبوى المسلمين، وقد روى الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ، قال لأبى بكر وعمر «لو اجتمعنا فى مشورة ما خالفناكما» وروى ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزم؟ فقال «مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم» وقد قال ابن ماجه<sup>(٢)</sup>: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبه، حدثنا يحيى بن بكير عن شيبان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال «المستشار مؤتمن» ورواه أبو داود والترمذى<sup>(٣)</sup>، وحسنه النسائى من حديث عبد الملك بن عمير بأبسط من هذا.

ثم قال ابن ماجه<sup>(٤)</sup>: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبه، حدثنا أسود بن عامر عن شريك، عن الأعمش، عن أبى عمرو الشيبانى عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «المستشار مؤتمن» تفرد به.

(١) ضعيف: المسند (١٧٥٣٣)، انظر السلسلة الضعيفة (١٠٠٨).

(٢) صحيح: ابن ماجه برقم (٣٧٤٥)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) صحيح: أبو داود (٥١٢٨)، الترمذى برقم (٢٨٢٢)، انظر صحيح سنن أبى داود.

(٤) صحيح: ابن ماجه برقم (٣٧٤٦)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.



الدار - فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعًا، فإذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين إلى يوم القيامة .  
 (حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد، عن عبد الرحمن بن جبيرة قال : سمعت المستورد بن شداد يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «من ولى لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادمًا، أو ليست له دابة فليتخذ دابة، ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غال» هكذا رواه الإمام أحمد . وقد رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> بسند آخر وسياق آخر، فقال : حدثنا موسى بن مروان الرقي، حدثنا المعافى، حدثنا الأوزاعي عن الحارث بن يزيد، عن جبيرة بن نفيير، عن المستورد بن شداد، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادمًا، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنًا» قال : قال أبو بكر : أخبرت أن النبي ﷺ ، قال «من اتخذ غير ذلك فهو غال - أو سارق» . قال شيخنا الحافظ المزني رحمه الله : رواه جعفر بن محمد الفريابي عن موسى بن مروان : فقال : عن عبد الرحمن بن جبيرة بدل جبيرة بن نفيير، وهو أشبه بالصواب .

(حديث آخر) - قال ابن جرير<sup>(٣)</sup> : حدثنا أبو كريب، حدثنا حفص بن بشر، حدثنا يعقوب القمي، حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : قال رسول الله ﷺ «لأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء، فينادى : يا محمد يا محمد، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملًا له رغاء، فيقول : يا محمد يا محمد، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسًا له حمحة ينادى : يا محمد، يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قشعًا من آدم ينادى : يا محمد يا محمد، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك» لم يروه أحد من أهل الكتب الستة .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا سفيان عن الزهري سمع عروة يقول : حدثنا أبو حميد الساعدي : قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللثبية على الصدقة، فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدي لى . فقام رسول الله ﷺ على المنبر فقال «ما بال العامل نبعثه فيجئ فيقول : هذا لكم وهذا أهدي لى : أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحد منكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بغيرها له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه : ثم قال «اللهم هل بلغت» ثلاثاً . وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد : بصرته بعينى وسمعت بأذنى وأسألوا زيد بن ثابت، أخرجاه<sup>(٥)</sup> من حديث سفيان بن

(١) صحيح : المسند (١٧٥٥٤)، انظر صحيح الجامع (٦٤٨٦) .

(٢) صحيح : أبو داود برقم (٢٩٤٥)، انظر صحيح سنن أبي داود .

(٣) صحيح : ابن جرير (١٥٩/٤)، انظر السلسلة الصحيحة (٢٨٦٥) .

(٤) صحيح : المسند (٢٣٠٨٧)، انظر صحيح الجامع (١٣٥٧) .

(٥) البخاري برقم (٩٢٥)، ومسلم برقم (١٨٣٢) .

عيينة، وعند البخارى: واسألوا زيد بن ثابت، ومن غير وجه عن الزهرى، ومن طريق عن هشام بن عروة، كلاهما عن عروة، به.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبى حميد أن رسول الله ﷺ قال «هدايا العمال غلول» وهذا الحديث من أفراد أحمد، وهو ضعيف الإسناد، وكأنه مختصر من الذى قبله، والله أعلم.

(حديث آخر) - قال أبو عيسى الترمذى<sup>(٢)</sup> فى كتاب الأحكام: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودى، عن المغيرة بن شبل، عن قيس بن أبى حازم، عن معاذ بن جبل، قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلما سرت أرسل فى أثرى فرددت، فقال «أندرى لم بعثت إليك؟ لا تصيبن شيئاً بغير إذنى فإنه غلول» ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لهذا دعوتك فامض لعملك» هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفى الباب عن عدى بن عميرة وبريدة والمستورد بن شداد وأبى حميد وابن عمر.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا إسماعيل بن عليه، حدثنا أبو حيان يحيى بن سعيد التيمى، عن أبى زرعة بن عمر بن جرير، عن أبى هريرة، قال: قام فىنا رسول الله ﷺ يوماً فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحة، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاغ تخنق فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك» أخرجاه<sup>(٤)</sup> من حديث أبى حيان به.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup>: حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبى خالد، حدثنى قيس عن عدى بن عميرة الكندى قال: قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس من عمل لنا منكم عملاً فكتمنا منه مخيلاً فما فوقه، فهو غل يأتى به يوم القيامة» قال: فقام رجل من الأنصار أسود - قال مجاهد: هو سعيد بن عبادة كأتى أنظر إليه - فقال: يا رسول الله، أقبل عنى عملى. قال «وما ذاك؟» قال: سمعتك تقول: كذا وكذا، قال «وأنا أقول ذاك الآن، من استعملناه على عمل فليجىء بقليله وكثيره، فما أوتى منه أخذه، وما نهى عنه انتهى» وكذا رواه مسلم وأبو داود<sup>(٦)</sup> من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup>: حدثنا أبو معاوية عن أبى إسحاق الفزارى، عن ابن جريج،

(١) صحيح: المسند (٢٣٠٩٠)، انظر الإرواء (٢٦٢٢).

(٢) ضعيف: الترمذى برقم (١٣٣٥)، انظر ضعيف جامع الترمذى.

(٣) صحيح: المسند (٩٢١٩)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٤٧).

(٤) البخارى برقم (٣٠٧٣)، ومسلم برقم (١٨٣١).

(٥) صحيح: المسند (١٧٢٦٤)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٤٧).

(٦) مسلم برقم (١٨٣٣)، وأبو داود برقم (٢٥٨١).

(٧) حسن: المسند (٢٦٦٥١)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٥٠).

حدثني منبوذ رجل من آل أبي رافع عن الفضل بن عُبَيْد الله بن أبي رافع، عن أبي رافع، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل فيتحدث معهم حتى ينحدر المغرب، قال أبو رافع: فبينما رسول الله ﷺ مسرعًا إلى المغرب، إذ مر بالبقيع، فقال «أف لك، أف لك» مرتين، فكبر في ذرعى وتأخرت وظننت أنه يريدني، فقال «مالك؟» امش قال: قلت: أحدثت حدثًا يارسول الله، قال «وما ذاك؟» قلت: أفقت بي، قال «لا، ولكن هذا قبر فلان بعثه ساعيًا على آل فلان فغل ثمرة فدرج الآن مثلها من نار» .

(حديث آخر) - قال عبد الله بن الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا عبد الله بن سالم الكوفي المفلوج - وكان بمكة - حدثنا عبيدة بن الأسود عن القاسم بن الوليد، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد، عن عبادة بن الصامت، قال: كان رسول الله ﷺ يأخذ الوبرة من جنب البعير من المغنم ثم يقول «مالى فيه إلا مثل ما لأحدكم، إياكم والغلول فإن الغلول خزى على صاحبه يوم القيامة، أدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك، وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد، في الحضر والسفر، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، إنه لينجى الله به من الهم والغم، وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم» وقد روى ابن ماجه بعضه عن المفلوج به .

(حديث آخر) - عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ «ردوا الخياط والمخيط، فإن الغلول عار ونار وشار على أهله يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> .

(حديث آخر) - قال أبو داود<sup>(٣)</sup> حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن مطرف، عن أبي الجهم، عن أبي مسعود الأنصاري، قال: بعثنى رسول الله ﷺ ساعيًا، ثم قال «انطلق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تجيء على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء، قد غلته» قال: إذا لا أنطلق، قال «إذا لا أكرهك»، تفرد به أبو داود .

(حديث آخر) - قال أبو بكر بن مردويه<sup>(٤)</sup>: أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أنبأنا عبد الحميد بن صالح، أنبأنا أحمد بن أبان عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال «إن الحجر ليُرمى به في جهنم فيهوى سبعين خريفًا ما يبلغ قعرها، ويؤتى بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غل اثنت به، فذلك قوله «وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup>: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثني سماك الحنفي أبو زميل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم خيبر

(١) صحيح: المسند (٢٢٢٨٩)، انظر السلسلة الصحيحة (٦٧٠).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٢٦٩٤)، والنسائي برقم (٣٦٨٨)، انظر صحيح سنن أبي داود.

(٣) حسن: أبو داود برقم (٢٩٤٧)، انظر صحيح سنن أبي داود.

(٤) البيهقي في «الشعب» (٦٤/٤)، برقم (٤٣٣٤)، من طريق إسماعيل بن أبان الوراق الكوفي عن محمد بن أبان عن علقمة بن مرثد به .

(٥) صحيح: المسند (٢٠٣)، انظر المشكاة (٤٠٣٤).

أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد، حتى أتوا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ «كلا إني رأيت في النار في بردة غلها - أو عبادة» ثم قال رسول الله ﷺ «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وكذا رواه مسلم والترمذي<sup>(١)</sup> من حديث عكرمة بن عمار به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

(حديث آخر عن عمر رضي الله عنه) - قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدثني عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن موسى بن جبير حدثه: أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري حدثه: أن عبد الله بن أنيس حدثه: أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوماً الصدقة، فقال: ألم تسمع قول رسول الله ﷺ حين ذكر غلول الصدقة «من غل منها بغيراً أو شاة فإنه يحمله يوم القيامة»؟ قال عبد الله بن أنيس: بلى. ورواه ابن ماجه<sup>(٣)</sup> عن عمرو بن سواد عن عبد الله بن وهب به.

(حديث آخر) - قال ابن جرير<sup>(٤)</sup>: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقاً، فقال: إياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء». قال: لا آخذه ولا أجيء به، فأعفاه ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه.

(حديث آخر) - قال أحمد<sup>(٥)</sup>: حدثنا أبو سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد، حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن سالم بن عبد الله أنه كان مع مسلمة بن عبد الملك في أرض الروم، فوجد في متاع رجل غلواً، قال: فسأل سالم بن عبد الله، فقال: حدثني أبي عبد الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من وجدتم في متاعه غلواً فأحرقوه» - قال: وأحسبه قال: واضربوه» قال: فأخرج متاعه في السوق فوجد فيه مصحفاً، فسأل سالمًا فقال: بعه وتصدق بشمته، وكذا رواه علي بن المديني وأبو داود والترمذي<sup>(٦)</sup> من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي، زاد أبو داود وأبو إسحاق الفزاري، كلاهما عن أبي واقد الليثي الصغير صالح بن محمد بن زائدة به.

وقد قال علي بن المديني والبخاري وغيرهما: هذا حديث منكر من رواية أبي واقد هذا، وقال الدارقطني: الصحيح أنه من فتوى سالم فقط، وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ومن تابعه من أصحابه، وقد رواه الأموي عن معاوية عن أبي إسحاق، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال: عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه. ثم روى عن

(١) مسلم برقم (١١٤)، الترمذي برقم (١٥٧٤).

(٢) صحيح: ابن جرير (٤/١٦٠)، انظر السلسلة الصحيحة (٢٣٥٤).

(٣) صحيح: ابن ماجه (١٨١٠)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.

(٤) ابن جرير (٤/١٦٠)، وفيه سعيد بن يحيى الأموي: صدوق ويخطو.

(٥) ضعيف: المسند (١٤٥)، وفيه صالح بن محمد بن زائدة: ضعيف.

(٦) ضعيف: أبو داود (٢٧١٣)، والترمذي (١٤٦١)، انظر ضعيف سنن أبي داود.

معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن علي، قال: الغال يجمع رحله فيحرق ويجلد دون حد المملوك ويحرم نصيبه، وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور فقالوا: لا يحرق متاع الغال بل يعزر تعزير مثله، وقال البخاري: وقد امتنع رسول الله ﷺ من الصلاة على الغال، ولم يحرق متاعه، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا أسود بن عامر، أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن جبير بن مالك، قال: أمر بالمصاحف أن تغير، قال: فقال ابن مسعود: من استطاع منكم أن يغسل مصحفًا فليغسله، فإنه من غل شيئًا جاء به يوم القيامة، ثم قال: قرأت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة، أفأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ - .

وروى وكيع في تفسيره عن شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم، قال: لما أمر بتحريق المصاحف قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس غلوا المصاحف، فإنه من غل يأت بما غل يوم القيامة، ونعم الغل المصحف يأتي به أحدكم يوم القيامة - وقال أبو داود<sup>(٢)</sup>، عن سمرة بن جندب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غنم غنيمة أمر بلالاً فينادي في الناس، فيجيئون بغنائمهم، فيخمسه ويقسمه، فجاء رجل يومًا بعد النداء بزمام من شعر فقال: يا رسول الله، هذا كان مما أصبنا من الغنيمة، فقال «أسمعت بلالاً ينادي» ثلاثاً؟ قال: نعم. قال «فما منعك أن تجيء؟» فاعتذر إليه فقال «كلا أنت تجيء» به يوم القيامة فلن أقبله منك.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقْمِنِ اتَّبِعِ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا بَاءَ بِسَخَطِ رَبِّكَ وَأَوَانَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَعِيرِ﴾ أي لا يستوى من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه، وأجير من وبيل عقابه، ومن استحق غضب الله والأزم به فلا محيد له عنه، وماواه يوم القيامة جهنم ويس المصير، وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن، كقوله تعالى: ﴿أَقْمِنِ يَلْمِزْنَا أَنْ نَنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَقَدْ كُنَّا هُوَ آخِزِينَ﴾ [الرعد: ١٩]، وكقوله ﴿أَقْمِنِ وَعَدْنَهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَا نَمْنَعُهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦١]. ثم قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق: يعني أهل الخير وأهل الشر درجات، وقال أبو عبيدة والكسائي: منازل، يعني متفاوتون في منازلهم ودرجاتهم في الجنة ودرجاتهم في النار، كقوله تعالى: ﴿رَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِصِيْرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي وسيوفهم إياها، لا يظلمهم خيرًا ولا يزيدهم شرًا، بل يجازي كل عامل بعمله، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ مَائِنَتِهِمْ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْوَابًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] أي من جنسكم، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ الْكَلِمَ﴾ [الكهف: ١١٠] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعْمَ وَيَسْتَوُونَ فِي الْأَسْرَابِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩] وقال

(١) أحمد برقم (٣٩١٩)، وفيه أبو إسحاق: مدلس وقد عنعن.

(٢) حسن: أبو داود برقم (٢٧١٢)، انظر صحيح سنن أبي داود.

تعالى: ﴿يَمْشَرُ الْيَنَى وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعتة في فهم الكلام عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾. يعنى القرآن ﴿وَرِزْقِهِمْ﴾ أى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذى كانوا متلبسين به فى حال شركهم وجاهليتهم، ﴿وَيَمْلِكُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعنى القرآن والسنة، ﴿وَأَن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ أى من قبل هذا الرسول ﴿لَفَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أى لفى غى وجهل ظاهر جلى بين لكل أحد.

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدِ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَيَلْعَلُمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَيَلْعَلُمُ الَّذِينَ نَافَعُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَتَّبَعْنَاهُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً﴾ وهى ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم ﴿قَدِ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ يعنى يوم بدر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلًا، وأسروا سبعين أسيرًا، ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ أى من أين جرى علينا هذا ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾.

قال ابن أبى حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا أبى، أنبأنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا فراد أبو نوح، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا سماك الحنفى أبو زميل، حدثنى ابن عباس، حدثنى عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم أحد من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله ﷺ عنه، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدِ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾ بأخذكم الفداء. وهكذا رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> عن عبد الرحمن بن غزوان وهو فراد أبو نوح بإسناده ولكن بأطول منه، وهكذا قال الحسن البصرى.

وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا إسماعيل ابن عليه عن ابن عون عن محمد عن عبيد، ح، قال سُنَيْدٌ وهو حسين: وحدثنى حجاج عن جرير، عن محمد عن عبيدة، عن على رضى الله عنه، قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد، إن الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين: إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، قال: فدعا رسول الله ﷺ الناس، فذكر لهم ذلك فقالوا: يا رسول الله، عشائرتنا وإخواننا ألا نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا، ويستشهد منا عدتهم، فليس فى ذلك ما نكره؟ قال: فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلاً، عدة أسارى أهل بدر، وهكذا رواه

(١) صحيح: من هذا الطريق أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٤٢/١)، انظر فقه السيرة ص (٢٣٦)

(٢) صحيح: المسند (٢٠٨)، انظر فقه السيرة ص (٢٣٦).

(٣) ابن جرير (١٦٦/٤).

النسائي والترمذي<sup>(١)</sup> من حديث أبي داود الحفري عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن سفيان بن سعيد، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين به، ثم قال الترمذي: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة، وروى أبو أسامة عن هشام نحوه، وروى عن ابن سيرين عن عبيدة، عن النبي ﷺ مرسلًا.

وقال محمد بن إسحاق وابن جريج والربيع بن أنس والسدي ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتهم، يعني بذلك الرماة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ بِمَنْ أَلْتَقَى الْجَمْعَانَ يَوْمَ قَوْفٍ﴾ أي فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين، كان بقضاء الله وقدره، وله الحكمة في ذلك ﴿وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَّائُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَتَّبَعْنَاكُمْ﴾ يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق، فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرضونهم على الإياب والقتال والمساعدة، ولهذا قال ﴿أَوْ أَدْعُوا﴾ قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك وأبو صالح والحسن والسدي: يعني كثروا سواد المسلمين.

وقال الحسن بن صالح: ادفعوا بالدعاء، وقال غيره: رابطوا، فتعللوا قائلين ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قال مجاهد: يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربًا لجنناكم، ولكن لا تلقون قتالًا.

قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup>: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة، انحاز عنه عبد الله بن أبي ابن سلول بثلاث الناس، وقال: أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكن لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الإنصاف عنهم، قال: أبعدم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم، ومضى رسول الله ﷺ.

قال الله عز وجل: ﴿هُمُ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ استدلوا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال، فيكون في حال أقرب إلى الكفر، وفي حال أقرب إلى الإيمان، لقوله: ﴿هُمُ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَا قَوْمِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته، ومنه قولهم هذا ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَتَّبَعْنَاكُمْ﴾ فإنهم يتحققون أن جنودًا من المشركين قد جاءوا من بلاد

(١) صحيح: الترمذي برقم (١٥٦٧)، انظر صحيح جامع الترمذي، والنسائي في «الكبرى» (٢٠٠/٥) برقم (٨٦٦٢).

(٢) ابن جرير (١٦٨/٤) وقال ابن حجر في الفتح (٣٥٦/٧) وهذا هو الصحيح في سبب نزولها.

بعيدة تحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من سراتهم يوم بدر. وهم أضعاف المسلمين أنه كائن بينهم قتال لا محالة. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا يَخُونُ قَوْمًا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا﴾ أى لو سمعوا من مشورتنا عليهم فى القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ قَادِرُهَا عَنَّا أَن نَّكُفَّ الْمُؤْمِنِينَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أى إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغى أنكم لا تموتون، والموت لا بد أن إليكم ولو كنتم فى بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَأْتِيكُمْ فَخَشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿١٧٣﴾ فاقبلوا بنعمة من الله وفضلٍ لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

حزب  
٨

يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا فى هذه الدار، فإن أرواحهم حية مرزوقة فى دار القرار. قال محمد بن جرير<sup>(١)</sup>: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة، حدثنا ابن إسحاق بن أبى طلحة، حدثنى أنس بن مالك فى أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم نبي الله ﷺ إلى أهل بئر معونة، قال: لا أدرى أربعين أو سبعين، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفرى، فخرج أولئك نفر من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء فقعدها فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصارى - : أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ، فخرج حتى أتى حياً منهم فاختبأ أمام البيوت، ثم قال: يا أهل بئر معونة، إني رسول رسول الله إليكم، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فأمنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت يرمح، فضره فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فى الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل، وقال إسحاق: حدثنى أنس بن مالك أن الله أنزل فيهم قرآناً: «بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه»، ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناها زماناً، وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

وقد قال مسلم<sup>(٢)</sup> فى صحيحه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال

(٢) مسلم برقم (١٨٨٧).

(١) ابن جرير (٤/١٧٣).

«أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أى شيء نشتهى ونحن تسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة، تركوا» وقد روى نحوه من حديث أنس وأبى سعيد.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ، قال «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة» تفرد به مسلم<sup>(٢)</sup> من طريق حماد.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا على بن عبد الله المديني، حدثنا سفيان عن محمد بن على بن ربيعة السلمى، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: قال لى رسول الله ﷺ «أعلمت أن الله أحيا أباك، فقال له: تمن على. فقال له: أرد إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى. قال: إني قضيت الحكم أنهم إليها لا يرجعون». تفرد به أحمد من هذا الوجه. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما: أن أبا جابر وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى رضى الله عنه، قتل يوم أحد شهيداً. قال البخارى<sup>(٤)</sup>: وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر: سمعت جابراً قال لما قتل أبى: جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونى والنبي ﷺ لم ينه، وقال النبى ﷺ «لا تبكيه - أو ما تبكيه - ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع» وقد أسنده هو ومسلم والنسائى من طريق آخر عن شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: لما قتل أبى يوم أحد، جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكى، وذكر تمامه بنحوه.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup>: حدثنا يعقوب، حدثنا أبى عن ابن إسحاق، حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبى الزبير المكي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتاكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن متقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ﴾ وما بعدها» هكذا رواه أحمد، وكذا رواه ابن جرير<sup>(٦)</sup> عن يونس، عن ابن

(١) صحيح: المسند (١١٨٦٤)، انظر صحيح الجامع (٥٧٩٢).

(٢) مسلم برقم (١٨٧٧).

(٣) صحيح: المسند (١٤٤٦٧)، انظر السلسلة الصحيحة.

(٤) البخاري برقم (٤٠٨٠).

(٥) حسن: المسند (٢٣٨٤)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٩).

(٦) صحيح: ابن جرير، (٤/١٧٠)، انظر صحيح الجامع (٥٢٠٥).

وهب، عن إسماعيل بن عياش، عن محمد بن إسحاق به. ورواه أبو داود والحاكم في مستدرکه<sup>(١)</sup> من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رضی الله عنهما فذكره، وهذا أثبت. وكذا رواه سفيان الثوري عن سالم الأفتس، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس - وروى الحاكم<sup>(٢)</sup> في مستدرکه من حديث أبي إسحاق الفزاري، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ﴾ ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وكذلك قال قتادة والربيع والضحاك: إنها نزلت في قتلى أحد.

(حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه<sup>(٣)</sup>، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا هارون بن سليمان، أنبأنا علي بن عبد الله المدني، أنبأنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر بن الفاكه الأنصاري، سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصاري، قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: نظر إلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال «يا جابر مالي أراك مهتمًا؟» قال قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك دينًا وعيالاً، قال: فقال: «ألا أخبرك ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا»، قال علي: الكفاح المواجهة قال: سألني أعطك. قال: سألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني القول: أنهم إليها لا يرجعون. قال: أي رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية. ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليل الأنصاري، عن أبيه عن جابر، به نحوه. وكذا رواه البيهقي<sup>(٤)</sup> في دلائل النبوة من طريق علي بن المدني به. وقد رواه البيهقي<sup>(٥)</sup> أيضًا من حديث أبي عبادة الأنصاري وهو عيسى بن عبد الرحمن إن شاء الله عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال النبي ﷺ لجابر «يا جابر ألا أبشرك» قال: بلى، بشرك الله بالخير، قال «شعرت أن الله أحيا أباك، فقال: تمن على عبي ما شئت أعطك، قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك، أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى، قال: إنه سلف مني أنه إليها لا يرجع».

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup>: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس رضی الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا» تفرد به أحمد.

- (١) حسن: أبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم في «المستدرک» (٩٧/٢) برقم (٢٤٤٤)، انظر صحيح سنن أبي داود.
- (٢) الحاكم في «المستدرک» (٤١٩/٢) برقم (٣٤٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- (٣) ضعيف: أخرجه من هذا الطريق الحاكم في «المستدرک» (٢٢٤/٣) برقم (٤٩١٤)، وفيه: طلحة بن خراش، روى عن جابر من أكبر، وقال عن ابن حبان يخطئ، وموسى بن إبراهيم.
- (٤) ضعفه بعضهم: أورده المزي في «تهذيب الكمال» (٣٩٤/١٣)، من طريق ابن المدني وعلته لعل ما قبله.
- (٥) ضعيف جدًا: أورده الهيثمي في «المجمع» (٣١٧/٩) وقال: رواه الطبراني والبخاري من طريق الفيض بن وثيق عن أبي عبادة الزرقني وكلاهما ضعيف.
- (٦) حسن: المسند (٢٣٨٦)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٨).

وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبيدة عن محمد بن إسحاق به، وهو إسناده جيد. وكان الشهداء أقسام: منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بيباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم - وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضاً فيها، وتأكّل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعدّه الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد<sup>(١)</sup> رحمه الله، رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، عن مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قوله «يلق» أى يأكل، وفي هذا الحديث «إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة» وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميّتنا على الإيمان - وقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية، أى الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم، نسأل الله الجنة. قال محمد بن إسحاق ﴿وَسَتَّبِشُرُونَ﴾ أى ويسرون بلحوق من خلفهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم.

قال السدي: يؤتى الشهيد بكتاب فيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغائبهم إذا قدم، وقال سعيد بن جبير: لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء، قالوا: يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة، فإذا شهدوا القتال باثروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير، فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم، أى ربهم، أنى قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه، فاستبشروا بذلك، فذلك قوله: ﴿وَسَتَّبِشُرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ الآية، وقد ثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن أنس رضى الله عنه في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة، وقت رسول الله ﷺ يدعو على الذين قتلوهم ويلعنهم، قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع «أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا».

ثم قال تعالى: ﴿يَسْتَبِشُرُونَ بِبِعَمَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال محمد بن إسحاق: استبشروا وسروا لما عاينوا من وفاء الموعد وجزيل الثواب. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم، وقلما ذكر الله فضلاً ذكر به الأنبياء وثواباً أعطاهم الله إياه، إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

(١) صحيح: المسند (١٥٣٥١)، انظر المشكاة (١٦٣٢).

(٢) البخاري برقم (٣٠٦٤)، ومسلم برقم (٦٧٧).

وَالرَّسُولِ مِنْ بَدْمَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴿١﴾ هذا كان يوم حمراء الأسد، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين، كروا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم ندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ نذب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويرهبهم أن بهم قوة وجلدًا، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الواقعة يوم أحد سوى جابر بن عبد الله رضى الله عنه، لما سنذكره، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

قال ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو، عن عكرمة، قال: لما رجع المشركون عن أحد، قالوا: لا محمدًا قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، بس ما صنعتهم، ارجعوا، فسمع رسول الله ﷺ بذلك، فندب المسلمين، فاندبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بئر أبي عيينة - الشك من سفيان - فقال المشركون: نرجع من قابل، فرجع رسول الله ﷺ، فكانت تعد غزوة، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَدْمَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ورواه ابن مردويه<sup>(٢)</sup> من حديث محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره - وقال محمد بن إسحاق: كان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خلفني على أخوات لى سبع، وقال: يا بنى إنه لا ينبغي لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسى فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه، وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا للعدو، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم. قال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup>: حدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بنى عبد الأشهل، كان قد شهد أحدًا، قال: شهدت أحدًا مع رسول الله ﷺ وأنا وأخى فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو، قلت لأخى - أو قال لى - : أنفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله، وكنت أيسر جراحًا منه، فكان إذا غلب حملته عقيبته ومشى عقيبته، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. وقال البخارى<sup>(٤)</sup>: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية، قلت لعروة: يا ابن أختى كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما لما أصاب

(١) أورده ابن حجر في الفتح (٢٢٨/٨)، وقال: رجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة وليس فيه ابن عباس.

(٢) عزاه ابن حجر في الفتح لابن مردويه، انظر ما قبله.

(٣) ابن جرير (١٧٦/٤) من طريق محمد بن إسحاق به.

(٤) البخاري برقم (٤٠٧٧).

نبى الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، فقال «من يرجع فى أثرهم» فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير رضى الله عنهما، هكذا رواه البخارى منفرداً به بهذا السياق، وهكذا رواه الحاكم فى مستدركه<sup>(١)</sup> عن الأصم، عن عباس الدورى، عن أبى النضر، عن أبى سعيد المؤدب، عن هشام بن عروة به، ثم قال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كذا قال. ورواه ابن ماجه<sup>(٢)</sup> عن هشام بن عمار، وهديّة بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة. عن هشام بن عروة به، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدى<sup>(٣)</sup> فى مسنده عن سفيان به.

وقد رواه الحاكم<sup>(٤)</sup> أيضاً من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن البهى، عن عروة، قال: قالت لى عائشة: يا بنى إن أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه - وقال أبو بكر بن مردويه<sup>(٥)</sup>: حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه، أنبأنا سمويه، أنبأنا عبد الله بن الزبير، أنبأنا سفيان، أنبأنا هشام عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال لى رسول الله ﷺ «إن أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أبو بكر والزبير رضى الله عنهما»، ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لمخالفته رواية الثقات من وقفه على عائشة رضى الله عنها كما قدمناه، ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة، وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير، لأنه ابن أختها أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم.

وقال ابن جرير<sup>(٦)</sup>: حدثنى محمد بن سعد، حدثنى عمى، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: إن الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد ما كان منه ما كان، فرجع إلى مكة، فقال النبى ﷺ «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً، وقد رجع وقذف الله فى قلبه الرعب»، وكانت وقعة أحد فى شوال، وكان التجار يقدمون المدينة فى ذى القعدة، فينزلون بيدر الصغرى فى كل سنة مرة، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد، وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك إلى النبى ﷺ واشتد عليهم الذى أصابهم، وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين، وقال «إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج، ولا يقدرّون على مثلها حتى عام مقبل» فجاء الشيطان فخوّف أوليائه، فقال: إن الناس قد جمعوا لكم، فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال «إنى ذاهب وإن لم يتبعنى أحد لأحضض الناس» فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلاً، فساروا فى طلب أبى سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ

(١) الحاكم فى «المستدرك» (٢/٣٢٦) برقم (٣١٦٦)، وفيه عباس الدورى: صدوق.

(٢) صحيح: ابن ماجه برقم (١٢٤)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) سعيد بن منصور فى سننه (٣/١٢٥)، وقال: سنه صحيح.

(٤) الحاكم فى «المستدرك» (٣/٤٠٩) برقم (٥٥٦١).

(٥) ابن جرير (٤/١٧٨) من طريق سعيد بن الربيع عن سفيان به.

(٦) ابن جرير (٤/١٧٧).

وَالرَّسُولِ مِنْ بَدِّ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴿١٠٠﴾ الآية، ثم قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهى من المدينة على ثمانية أميال، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فأقام بها الاثني عشر والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة، وقد مر به - كما حدثني عبد الله بن أبي بكر - معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله ﷺ بتهامه صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ كان مشركاً، فقال: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك، ولوددنا أن الله عافك فيهم، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا حذ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم؟ لنكرن على بقيتهم ثم فلنفرغ منهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد وأصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثلهم، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحق عليكم شئ لم أر مثله قط، قال: ويملك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل.

قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإنى أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم آياتاً من شعر، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى	إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل
تردى بأسد كرام لا تنابله	عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عذواً أظن الأرض مائلة	لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم	إذا تغطمطت البطحاء بالخييل
إنى نذير لأهل البسل ضاحية	لكل ذى إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنابله	وليس يوصف ما أذرت بالقييل

قال: فثنى ذلك أبو سفيان ومن معه، ومر به ركب من بنى عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتمونا؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه، فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة، قال: قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوعهم «والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب» وقال الحسن البصرى فى قوله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَدِّ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا، فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان قد رجع وقد كذف الله فى قلبه الرعب، فمن ينتدب فى طلبه؟ فقام النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فاتبعوهم، فبلغ أبا سفيان أن النبى ﷺ يطلبه، فلقى غيراً من التجار فقال: ردوا محمداً ولكم من الجعل كذا وكذا، وأخبروهم أنى قد جمعت لهم جموعاً وأنى راجع إليهم، فجاء التجار فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال

النبي ﷺ «حسبنا الله ونعم الوكيل». فأنزل الله هذه الآية، وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد: إن هذا السياق نزل في شأن حمراء الأسد، وقيل: نزلت في بدر الموعد، والصحيح الأول. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّخَذْتَهُمْ قَزَآءَهُمْ وَإِنِّتُمْ لَأَنتُمْ تَوَعَّدُهُمُ النَّاسَ بِالْجَمْعِ وَخَوْفُهُمْ بكَثْرَةِ الأَعْدَاءِ، فَمَا اكْتَثِرُوا لِذَلِكَ بَلْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَاسْتَعَانُوا بِهِ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

قال البخاري<sup>(١)</sup>: حدثنا أحمد بن يونس، قال: أراه قال: حدثنا أبو بكر عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. وقد رواه النسائي<sup>(٢)</sup> عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهارون بن عبد الله، كلاهما عن يحيى بن أبي بكير، عن أبي بكر وهو ابن عياش به، والعجب أن الحاكم أبا عبد الله<sup>(٣)</sup> رواه من حديث أحمد بن يونس به، ثم قال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ثم رواه البخاري<sup>(٤)</sup> عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، عن إسرائيل، عن أبي حصين عن أبي الضحى، عن ابن عباس، قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وقال عبد الرزاق: قال ابن عيينة: وأخبرني زكريا عن الشعبي، عن عبد الله بن عمرو، قال: هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، رواه ابن جرير.

وقال أبو بكر بن مردويه<sup>(٥)</sup>: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا إبراهيم بن موسى الثوري، حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكري، أنبأنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم أحد: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فأنزل الله هذه الآية. وروى أيضاً بسنده عن محمد بن عبيد الله الرافعي، عن أبيه، عن جده أبي رافع: أن النبي ﷺ، وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفیان، فلقبهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فنزلت فيهم هذه الآية. ثم قال ابن مردويه<sup>(٦)</sup>: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا الحسن بن سفیان، أنبأنا أبو خيشمة مصعب بن سعيد، أنبأنا موسى بن أعين، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾» هذا حديث غريب من هذا الوجه - وقد قال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup>: حدثنا حيوة بن شريح وإبراهيم بن أبي العباس، قالوا: حدثنا بقیة، حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان، عن سيف، عن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبي ﷺ، قضى بين رجلين، فقال: المقضى

(١) البخاري برقم (٤٥٦٣).

(٢) صحيح: النسائي في «الكبرى» (٣١٦/٦) برقم (١١٠٨١)، انظر الكلم الطيب (١٢٩).

(٣) صحيح: الحاكم في «المستدرک» (٣٢٦/٢) برقم (٣١٦٧)، وفيه أبو بكر بن عياش: صدوق بهم، وقد عنعنه.

(٤) البخاري برقم (٤٥٦٤).

(٥) من هذا الطريق أخرجه ابن جرير (١٨٠/٤).

(٦) عزاه العجلوني في «فيض القدير» (٤٥٥/١) لابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف.

(٧) ضعيف: المسند (٢٣٤٦٣)، انظر ضعيف الجامع (١٧٥٩).

عليه لما أدير: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال النبي ﷺ «ردوا على الرجل» فقال: «ما قلت؟» قال: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: «حسبي الله ونعم الوكيل» وكذا رواه أبو داود والنسائي<sup>(١)</sup> من حديث بنية عن بحير عن خالد، عن سيف وهو الشامي، ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ بنحوه - وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: حدثنا أسباط، حدثنا مطرف عن عطية، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِذَا نَزَرَ فِي الْأَثَرِ﴾ [المتر: ٨]، قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني جبهته يسمع متى يؤمر فينفتح؟» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «فما نقول؟» قال «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» وقد روى هذا من غير وجه، وهو حديث جيد، وروينا عن أم المؤمنين زينب وعائشة رضى الله عنهما، أنهما تفاخرتا، فقالت زينب: زوجني الله وزوجكن أهاليكن، وقالت عائشة: نزلت براءتي من السماء في القرآن، فسلمت لها زينب، ثم قالت: كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل؟ فقالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل<sup>(٣)</sup>.

قالت زينب: قلت كلمة المؤمنين، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَصَّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ أي لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَصَّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ وقال البيهقي<sup>(٤)</sup>: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد، حدثنا محمد بن نعيم، حدثنا بشر بن الحكم، حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين، حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى ﴿فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَصَّلِ﴾ قال: النعمة أنهم سلموا، والفضل أن غيرا مرت وكان في أيام الموسم فاشترها رسول الله ﷺ فربح فيها مالا فقسمه بين أصحابه، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ قال: هذا أبو سفيان، قال لمحمد ﷺ، موعدهم بدر حيث قتلتم أصحابنا. فقال محمد ﷺ «عسى»، فانطلق رسول الله ﷺ لموعده حتى نزل بدرًا، فوافقوا السوق فيها، فابتاعوا، فذلك قول الله عز وجل: ﴿فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَصَّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ الآية، قال: وهي غزوة بدر الصغرى، رواه ابن جرير، وروى أيضًا عن القاسم، عن الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج، قال: لما عهد رسول الله ﷺ لموعده أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يكيدونهم بذلك، يريدون أن يربوهم، فيقول المؤمنون: حسبنا الله ونعم الوكيل، حتى قدموا بدرًا، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد، قال: فقدم رجل من المشركين فأخبر أهل مكة بخيل محمد، وقال في ذلك:

(١) ضعيف: أبو داود (٣٦٢٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٦٠/٦) برقم (٣٠٠١).

(٢) المسند (١٠٤٦٢)، انظر ضعيف سنن أبي داود وفيه عطية العوفي، ضعفه بعضهم، وقيل: لين.

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» بنحوه (١٩٥/١٤).

(٤) أورده الهيثمي بنحوه في «المجمع» (١٢١/٦) وقال: رواه الطبراني ورجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة.

نفرت قلوصى من خيول محمد وعجوة منشورة كالعنجد

واتخذت ماء قديد موعدى

قال ابن جرير: هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ، وإنما هو:

قد نفرت من رفقتى محمد وعجوة من يشرب كالعنجد

تهوى على دين أبيها الأتلد قد جعلت ماء قديد موعدى

وماء ضجنان لها ضحى الغد

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أى يخوفكم أوليائه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُذِّبَتِمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أى إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا على والجاؤا إلى، فإنى كافيم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦] إلى قوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] وقال تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلُنَا إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] وقال ﴿وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الحج: ٤٠] وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِنُصْرَةِ اللَّهِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَكَرِهَتِ النَّفْسُ الَّتِي نَفَسَتْ بِالَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٩٠].

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥٧ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لَمَمًا تَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥٨ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْطِيَكُمْ عَلَى الْعَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ٥٩ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَاعُونَ بِمَالِهِمْ اللَّهَ مِنْ قَبْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيَبْطُؤُنَّ مَا يَبْتَاعُونَ بِمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَبْدَأُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٦٠﴾

يقول تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ وذلك من شدة حرصه على الناس، كان يحزنه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق، فقال تعالى: لا يحزنك ذلك ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ أى حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيباً فى الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ثم قال تعالى مخبراً عن ذلك إخباراً مقررًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أى استبدلوا هذا بهذا ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أى ولكن يضررون أنفسهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لَمَمًا تَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ٥٨ كقوله ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمَلِّهُمْ بِهِ مِنْ تَالِ وَبَيْنِ شَأْبِ لَمْ فِي لَفَيْرَتِ بَلْ لَا يَتَفَرَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] وكقوله ﴿فَدَرَىٰ وَمَنْ يَكْذِبُ يَهْدَا لَعْنَتِي سَنَنْتِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسَبُونَ﴾ [القم: ٤٤] وكقوله ﴿فَلَا تَحْجَبْكَ

أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَهَقَ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ [النوبة: ٥٥] ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي لا بد أن يعقد سبباً من المحنة، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، يعنى بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ، وهتك به أستار المنافقين. فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

قال مجاهد: ميز بينهم يوم أحد، وقال قتادة: ميز بينهم بالجهاد والهجرة، وقال السدي: قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا عن من يؤمن به منا ومن يكفر، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي حتى يخرج المؤمن من الكافر، روى ذلك كله ابن جرير - ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِمَكُمْ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أي أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك. ثم قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولِهِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] ثم قال تعالى: ﴿فَأَيُّوْا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرع لكم ﴿وَإِن تَوَلَّوْا وَتَوَلَّوْا فَالِكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضرة عليه في دينه، وربما كان في دنياه. ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة، فقال ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِحُلُوبِ يَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال البخارى<sup>(١)</sup>: حدثنا عبد الله بن منير، سمع أبا النضر، حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعنى بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ إلى آخر الآية، تفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه، وقد رواه ابن حبان<sup>(٢)</sup> فى صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال «إن الذى لا يؤدى زكاة ماله يمثل الله له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيتان، ثم يلزمه يطوقه يقول: أنا كنزك أنا كنزك» وهكذا رواه النسائى<sup>(٤)</sup> عن الفضل بن سهل عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي

(١) البخارى برقم (٤٥٦٥).

(٢) صحيح: ابن حبان (٥٠/٨) برقم (٣٢٥٨)، انظر السلسلة الصحيحة (٥٥٨).

(٣) صحيح: المسند (٥٦٩٦)، انظر صحيح الجامع (١٦٩٠).

(٤) صحيح: النسائى (٢٤٨١)، انظر صحيح سنن النسائى.

سلمة به . ثم قال النسائي : ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن دينار ، عن أبي صالح عن أبي هريرة .

(قُلْتُ) ولا منافاة بين الروایتين ، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين ، والله أعلم ، وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مردويه <sup>(١)</sup> من غير وجه عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . ومن حديث محمد بن أبي حميد عن زياد الخطمي عن أبي هريرة به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد <sup>(٢)</sup> : حدثنا سفيان عن جامع ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال «ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه ، يفر منه وهو يتبعه ، فيقول : أنا كنتك» ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله ﴿سَيَلَوْهُنَّ مَا يَجْلُونَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه <sup>(٣)</sup> من حديث سفيان بن عيينة عن جامع بن أبي راشد ، زاد الترمذي : وعبد الملك بن أعين ، كلاهما عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود به ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه الحاكم <sup>(٤)</sup> في مستدركه من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود به ، ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفاً .

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى <sup>(٥)</sup> : حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان عن النبي ﷺ قال «من ترك بعده كنزاً مثل له شجاعاً أقرع يوم القيامة له زبيبتان يتبعه ، ويقول : من أنت؟ ويلك ، فيقول : أنا كنتك الذي خلفت بعدك ، فلا يزال يتبعه حتى يلقيه يده فيقضهما ، ثم يتبع سائر جسده» إسناده جيد قوى ، ولم يخرجوه . وقد رواه الطبراني <sup>(٦)</sup> عن جرير بن عبد الله الجلي ، ورواه ابن جرير وابن مردويه <sup>(٧)</sup> من حديث بهز بن حكيم عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ ، قال «لا يأتي الرجل مولاة فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إياه إلا دُعي له يوم القيامة شجاعاً يتلمظ فضله الذي منع» لفظ ابن جرير ، وقال ابن جرير <sup>(٨)</sup> حدثنا ابن المثنى ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود عن أبي قزعة ، عن رجل ، عن النبي ﷺ ، قال «ما من ذى رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده ، فيبخل به عليه ، إلا

(١) عزاه المصنف لابن مردويه من غير وجه عن أبي صالح عن أبي هريرة ، ومن حديث محمد بن أبي حميد عن زياد الخطمي عن أبي هريرة .

(٢) صحيح : المسند (٣٥٦٧) ، انظر صحيح الجامع (٥٧٠٧) .

(٣) صحيح : الترمذي (٣٠١٢) ، النسائي (٢٤٤١) ، ابن ماجه (١٧٨٤) ، انظر صحيح جامع الترمذي .

(٤) الحاكم في المستدرک (٣٢٧/٢) برقم (٣١٦٩) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٢٩/٦) رواه كله الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات .

(٥) من هذا الطريق أخرجه ابن جرير (١٠/١٢٤) ، وانظر «موارد الظلمآن» (١/٢٠٥) ، وقال المصنف : إسناده جيد .

(٦) صحيح : عزاه الحافظ المنذري في «ترغيبه» (١/٣٠٧) للطبراني ، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٧٥٩) .

(٧) حسن : ابن جرير (٤/١٩١) ، وعزاه المصنف لابن مردويه ، وانظر صحيح الجامع (٧٥٧٥) .

(٨) ابن جرير (٤/١٩١) .

أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه ثم رواه من طريق أخرى عن أبي قزعة واسمه حجير بن بيان، عن أبي مالك العبدى موقوفًا، ورواه من وجه آخر عن أبي قزعة مرسلًا.

وقال العوفى عن ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب الذين دخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها، رواه ابن جرير، والصحيح الأول وإن دخل هذا في معناه، وقد يقال: إن هذا أولى بالدخول، والله سبحانه وتعالى أعلم، وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَبِذُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ تُسَخِّلِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٨] فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل. فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أى بنياتكم وضمائركم.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكَ سَتَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ عَادٍ الْحَرِيقِ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس يظلم أحدًا شيء ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَىٰ قُلُوبِكُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٥١] فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٥١﴾

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَشْفَاكَ كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٥٤] قالت اليهود: يا محمد، افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكَ﴾ الآية، رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم. وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود أناسًا كثيرًا قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه خبر يقال له أشيع، فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبًا عندكم فى التوراة والإنجيل.

فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإننا عنه لا غنى، ولو كان عنا غنيًا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنيًا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أبصر ما صنع بى صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: «ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟» فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قد قال قولاً عظيمًا، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك، غضبت لله مما قال، فضربت وجهه، فوجد فنحاص ذلك، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله فيما قال فنحاص ردًا عليه وتصديقًا لأبى بكر ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكَ﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم. وقوله ﴿سَتَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ تهديد ووعيد، ولهذا قرنه تعالى بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أى هذا قولهم فى الله وهذه معاملتهم لرسول الله وسيجزئهم الله على ذلك شر الجزاء، ولهذا قال تعالى:

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ آيَاتِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْمُجْسِمِ﴾ أى يقال لهم ذلك تقريرًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا لَأَن نُّرْسِلَ رَسُولًا مِّنْ رَبِّنَا يَأْتِينَا بِقُرْآنٍ مُّثَلِّهِمْ كَمَا أَتَانَا لِيُقَرِّبَهُنَّ إِلَى اللَّهِ كَمَا أَقْرَبَهُنَّ بِآيَاتِنَا وَيُصَدِّقَهُنَّ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَن يَكُونَ مِن مَّعْجَزَاتِهِ أَن مَّن صَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِّنْ أُمَّتِهِ، فَتَقَبَّلَتْ مِنْهُ، أَن تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ تَأْكُلُهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمَا.

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أى بالحجج والبراهين، ﴿وَرِئَازِي قُلْتُمْ﴾ أى وينار تأكل القرايين المتقبلة، ﴿فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أى فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنكم تتبعون الحق وتتفادون للرسل. ثم قال تعالى مسلبيًا لنبية محمد ﷺ ﴿فَإِن كَذَّبْتُمْ فَسَقَرْتُمْ فَذُوقُوا كَذَّبْتُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٣١﴾﴾ أى لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاءوا به من البينات وهى الحجج والبراهين القاطعة، ﴿وَالزُّبُرِ﴾ وهى الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٣١﴾﴾ أى البين الواضح الجلى.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ أَدْرَكَهَا كَيْفًا فَمِمَّا يَرْجَبُونَ وَبَدَّلَ اللَّهُ مَا كَانُوا يَرْجَبُونَ وَمَا أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُنُوبَهُمْ وَأَنفُسَهُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَسَنُمَكِّنَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْرِ الْأُمُورِ ﴿٣٢﴾﴾

يخبر تعالى إخبارًا عامًا يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَاَن رَّبَّيْنِ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْعَرْشِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] فهو تعالى وحده هو الحى الذى لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولاً، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التى قدر الله وجودها فى صلب آدم وانتهت البرية، أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها، كبيرها وصغيرها، فلا يظلم أحدًا مثقال ذرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِئِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال ابن أبى حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا أبى، حدثنا عبد العزيز الأوسى، حدثنا على بن أبى على الهاشمى عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، عن أبىه، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: لما توفى النبى ﷺ وجاءت التعزية، جاءهم أت يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودرگا من كل فائت، فبالله فقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال جعفر بن محمد: فأخبرنى أبى أن على بن أبى طالب قال: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه

(١) منكر: الطبراني في «الكبير»، (١٢٩/٣)، برقم (٢٨٩٠)، وفيه عبد الله بن ميمون القلاح: منكر.

السلام . وقوله : ﴿فَمَنْ زُجِرَ عَنِ الْكَاثِرِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أى من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز .

قال ابن أبي حاتم <sup>(١)</sup> : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ «موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرؤوا إن شئتم ﴿فَمَنْ زُجِرَ عَنِ الْكَاثِرِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾» هذا حديث ثابت فى الصحيحين <sup>(٢)</sup> ، من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة ، وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم <sup>(٣)</sup> فى مستدركه ، ومن حديث محمد بن عمرو هذا ورواه ابن مردويه <sup>(٤)</sup> من وجه آخر ، فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، أنبأنا حميد بن مسعدة أنبأنا عمرو بن على عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله ﷺ «الموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها» قال : ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَنْ زُجِرَ عَنِ الْكَاثِرِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ وتقدم عند قوله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْمِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ تُسَلِّطُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ما رواه الإمام أحمد <sup>(٥)</sup> عن وكيع بن الجراح عن الأعمش ، عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» . وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده عن وكيع به .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ تصغير لشأن الدنيا ، وتحقير لأمرها ، وأنها دنيسة فانية ، قليلة زائلة ، كما قال تعالى : ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى : ١٦-١٧] وقال تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص : ٦٠] وفى الحديث «والله ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه فى اليم ، فلينظر به ترجع إليه» <sup>(٦)</sup> وقال قتادة فى قوله تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ . قال : هى متاع متروكة أوشكت - والله الذى لا إله إلا هو - أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله ، وقوله تعالى : ﴿تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُمْ نِجْنًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَائِبِ﴾ [البقرة : ١٥٥-١٥٦] إلى آخر الآيتين ، أى لا بد أن يبتلى المؤمن فى شىء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ، ويبتلى المؤمن على قدر دينه ، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى البلاء ﴿وَلَتَسْمُرُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ يقول تعالى

(١) صحيح : الحاكم فى «المستدرک» (٣٢٧/٢) برقم (٣١٧٠) ، من طريق أبي مدر شجاع بن الوليد عن محمد بن عمرو به ، انظر صحيح الجامع (٦٦٣٥) .

(٢) البخاري برقم (٦٤١٥) ، ومسلم برقم (١٨٨١) من حديث سهل بن سعد .

(٣) صحيح : عزاه المصنف لابن أبي حاتم وأخرجه ابن حبان (٤٣٣/١٦) برقم (٧٤١٧) ، والحاكم فى «المستدرک» (٣٢٧/٢) ، برقم (٣١٧٠) ، انظر الصحيحة (١٩٧٨) .

(٤) صحيح : أخرجه الجرجاني فى «تاريخه» (٤٣١/١) ، انظر صحيح الجامع (٦٦٣٥) .

(٥) المسند (٦٧٦٨) ، ورجاله ثقات .

(٦) أخرجه مسلم (٢٨٥٨) ، الترمذي (٢٣٢٣) ، من حديث مستورد بن شداد .

للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلماً لهم عما نالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين، وأمرًا لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج الله، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْرِ الْأُمُورِ﴾.

قال ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره، قال: كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا﴾ قال: وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، هكذا ذكره مختصراً، وقد ذكره البخاري<sup>(٢)</sup> عند تفسير هذه الآية مطولاً، فقال: حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد، حدثه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ، ثم وقف، فنزل، ودعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا. ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: بلى يا رسول الله، فاعشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثارون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد، فقال له النبي ﷺ «يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب» يريد عبد الله بن أبي، قال: كذا وكذا، فقال سعد: يا رسول الله، اعف عنه واصفح، فوالله الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطاح أهل هذه البحيرة على أن يتوجه ويعصبوه بالعصاية، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ، وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا﴾ الآية وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسْرًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩] الآية، وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله له فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صنديد كفار قريش قال عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام وأسلموا فكل من قام بحق أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤدي فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله والرجوع إلى الله عز وجل.

(١) صحيح: الطبراني في «الكبير» (١/١٦٣) برقم (٣٨٩)، من طريق الحكم بن نافع عن شعيب بن أبي حمزة به.

(٢) البخاري برقم (٤٥٦٦).

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وأن ينهوا بذكره في الناس ، ليكونوا على أهبة من أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكنتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم ، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسالكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ ، أنه قال : «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ ، يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا ، كما جاء في الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن النبي ﷺ «من ادعى دعوة كاذبة ليتكثر بها ، لم تزد من الله إلا قلة» ، وفي الصحيحين<sup>(٣)</sup> أيضاً «المتشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» ، وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا حجاج عن ابن جريج ، أخبرني ابن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال : اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعين ، فقال ابن عباس : وما لكم هذه ، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ الآية .

وقال ابن عباس : سألهم النبي ﷺ عن شيء فكنتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أورد أنه قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه ، وهكذا رواه البخاري في التفسير ، ومسلم والترمذي والنسائي في تفسيريهما ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، والحاكم في مستدركه وابن مردويه كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه ، ورواه البخاري أيضاً من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن علقمة بن وقاص ، أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس ، فذكره .

(١) حسن صحيح : أخرجه أبو داود (٣٦٥٨) ، الترمذي برقم (٢٦٤٩) ، ابن ماجه (٢٦٦) ، أحمد برقم (٧٥١٧) ،

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، انظر صحيح سنن أبي داود .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٠) ، من حديث ثابت بن الضحاك ، ولم أقف عليه عند البخاري .

(٣) البخاري برقم (٥٢١٩) ، ومسلم برقم (٢١٣٠) ، من حديث أسماء بنت الصديق .

(٤) صحيح : المسند (٢٧٠٧) ، انظر صحيح جامع الترمذي (٣٠١٤) .

وقال البخاري<sup>(١)</sup>: حدثنا سعيد بن أبي مریم، أنبأنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه: أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ الآية، وكذا رواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث ابن أبي مریم بنحوه. وقد رواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، قال: كان أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت عند مروان فقال: يا أبا سعيد أرايت قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾، ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل؟ فقال أبو سعيد: إن هذا ليس من ذلك، إنما ذاك أن ناساً من المنافقين كانوا يتخلفون إذا بعث رسول الله ﷺ بعثاً، فإن كان فيهم نكبة فرحوا بتخلفهم، وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويحمدوهم على سرورهم بالنصر والفتح، فقال مروان: أين هذا من هذا؟ فقال أبو سعيد: وهذا يعلم هذا؟ فقال مروان: أذلك يا زيد؟ قال: نعم صدق أبو سعيد، ثم قال أبو سعيد: وهذا يعلم ذلك - يعنى رافع بن خديج، ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع فلاتصه فى الصدقة، فلما خرجوا قال زيد لأبى سعيد الخدري: ألا تحمدي على ما شهدت لك، فقال أبو سعيد: شهدت الحق فقال زيد: أولاً تحمدي على ما شهدت الحق؟ ثم رواه من حديث مالك عن زيد بن أسلم، عن رافع بن خديج: أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة، فقال مروان: يا رافع فى أى شىء نزلت هذه الآية؟ فذكره كما تقدم عن أبى سعيد رضى الله عنهم، وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم، فقال له ما ذكرناه ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء، لأن الآية عامة فى جميع ما ذكر، والله أعلم، وقد روى ابن مردويه<sup>(٣)</sup> أيضاً من حديث محمد بن أبى عتيق وموسى بن عتبة عن الزهرى، عن محمد بن ثابت الأنصارى، أن ثابت بن قيس الأنصارى قال: يا رسول الله، والله لقد خشيت أن أكون هلك، قال «لم؟» قال نهى الله المرء أن يحب أن يحمدا بما لم يفعل وأجدنى أحب الحمد، ونهى الله عن الخيلاء وأجدنى أحب الجمال ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهورى الصوت، فقال رسول الله ﷺ «ألا ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟» فقال: بلى يا رسول الله. فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّكُمْ بِمَقَازِرِنَ الْعَذَابِ﴾ يقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد، وبالياء على الإخبار عنهم أى لا يحسبون أنهم ناجون من العذاب بل لا بد لهم منه ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثم قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أى هو مالك كل شىء، والقادر على كل شىء، فلا يعجزه شىء، فهابوه ولا تخالفوه، واحذروا غضبه ونقمته فإنه العظيم الذى لا أعظم منه، والقدير الذى لا أقدر منه.

(٢) مسلم برقم (٢٧٧٧).

(١) البخاري برقم (٤٥٦٧).

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦/٦٢٠) لابن مردويه من طريق زيد بن الحباب به، ورجاله ثقات إلا أن زيد بن الحباب: صدوق.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٣﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٤﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٥﴾

قال الطبراني<sup>(١)</sup>: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا يحيى الحماني، حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أتت قريش اليهود، فقالوا: بم جاءكم موسى؟ قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه، فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فليتفكروا فيها، وهذا مشكل فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بمكة، والله أعلم، ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى هذه فى ارتفاعها واتساعها، وهذه فى انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات، وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والروائح والطعوم والخواص، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أى تعاقبهما وتعارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذى كان قصيراً، ويقصر الذى كان طويلاً. وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالى ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أى العقول التامة الزكية التى تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَابِقٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦] ثم وصف تعالى أولى الألباب، فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾.

كما ثبت فى صحيح البخارى<sup>(٢)</sup> عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبِكَ» أى لا يقطعون ذكره فى جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألستهم، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته. وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلى فما يقع بصرى على شىء إلا رأيت لله على فيه نعمة ولى فيه عبرة، رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكير والاعتبار وعن الحسن البصرى أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وقال الفضيل قال

(١) الطبراني فى «الكبير» (١٢/١٢) برقم (١٢٣٢٢)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/٣٢٩): رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني ضعيف.

(٢) البخارى برقم (١١١٧).

الحسن : الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ، وقال سفيان بن عيينة : الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة ففى كل شىء له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : طوبى لمن كان قلبه تذكراً وصمته تفكراً ، ونظره عبراً ، قال لقمان الحكيم : إن طول الوحدة الأهم للفكرة ، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة ، وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ إلا فهم ولا فهم امرؤ قط إلا علم ، ولا علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر الله عز وجل حسن ، والفكرة فى نعم الله أفضل العبادة . وقال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكركم ، وشاهدوا الموقف بقلوبكم ، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار ، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامها وأطباقها . وكان يبكى عند ذلك حتى يرفع صريحا من بين أصحابه قد ذهب عقله .

وقال عبد الله بن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة ، فناداه فقال : يا راهب ، إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر : كنز الرجال ، وكنز الأموال . وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتى الخربة فيقف على بابها فينادى بصوت حزين ، فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان فى تفكير ، خير من قيام ليلة والقلب ساه . وقال الحسن البصرى : يا ابن آدم ، كل فى ثلث بطنك ، واشرب فى ثلثه ، ودع ثلثه الآخر تنفس للفكرة . وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بغير العبرة ، انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة . وقال بشر بن الحارث الحافى : لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى لما عصوه .

وقال الحسن بن عامر بن عبد قيس ، قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ يقولون : إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكير . وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت ، وكن فى الدنيا ضيفاً ، واتخذ المساجد بيتاً ، وعلم عينيك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك الفكر ، ولا تهتم برزق غد . وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، أنه بكى يوماً بين أصحابه ، فسئل عن ذلك ، فقال : فكرت فى الدنيا ولذاتها وشهواتها ، فاعتبرت منها بها ما تكاد شهواتها تنقضى حتى تكدرها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر . وقال ابن أبى الدنيا : أنشدنى الحسين بن عبد الرحمن :

نزهة المؤمن الفكر	لذة المؤمن العبير
نحمد الله وحده	نحن كل على خطر
رُبَّ لَأٍ وَعَمْرُهُ	قد تَقَضَّى وما شَعَر
رب عيش قد كان فو	ق المنى مونتق الزهر
فى خريز من العيو	ن وظل من الشجر
وسرور من النبا	ت وطيب من الثمر
نحمد الله وحده	إن فى ذا لمعتبر

إِن فِي ذَا لَعْبْرَةٍ لِّلْبَيْبِ إِنِ اعْتَبَرَ

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته، فقال ﴿وَكَيْفَ يُؤْمِنُ بِآيَاتِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِآلِهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦] ومدح عباده المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ رَبُّهُمْ بِرَبِّكَرَّةٍ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قائلين ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ أى ما خلقت هذا المخلوق عبثًا، بل بالحق لتجزى الذين أساءوا بما عملوا، وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

ثم نزهه عن العبث وخلق الباطل، فقالوا ﴿سُبْحٰنَكَ﴾ أى عن أن تخلق شيئًا باطلاً ﴿فَوَيْلًا لِّلَّذِينَ عَدَّابِ النَّارِ﴾ أى يا من خلق الخلق بالحق والعدل، يا من هو منزّه عن النقائص والعيب والعبث. فنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا. ووفقتنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم. ثم قالوا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ أى أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ﴾ أى يوم القيامة لا مجير لهم منك. ولا محيد لهم عما أردت بهم ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ أى داعيًا يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول ﷺ ﴿أَن ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ أى يقول آمنوا بربكم فأمننا، أى فاستجبنا له واتبعناه، أى بإيماننا واتباعنا نبيك، ﴿رَبَّنَا فَآغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أى استرها، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فيما بيننا وبينك، ﴿وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبِرَارِ﴾ أى ألحقنا بالمصالحين، ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ قيل: معناه على الإيمان برسلك، وقيل: معناه على السنة رسلك. وهذا أظهر - وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد، عن أبي عقاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ «عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفًا لا حساب عليهم، ويبعث منها خمسين ألفًا شهداء وفودا إلى الله، وبها صفوف الشهداء رؤوسهم مقطعة فى أيديهم تشج أوداجهم دماء، يقولون ﴿رَبَّنَا وَعَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾» فيقول الله: صدق عبيدى اغسلوهم بنهر البيضة. فيخرجون منه نقاء بيضًا. فيسرحون فى الجنة حيث شاءوا» وهذا الحديث يعد من غرائب المسند، ومنهم من يجعله موضوعًا، والله أعلم. ﴿وَلَا نُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أى على رؤوس الخلائق، ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ أى لا بد من الميعاد الذى أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بين يديك.

وقد قال الحافظ أبو يعلى<sup>(٢)</sup>: حدثنا الحارث بن شريح، حدثنا المعتمر، حدثنا الفضل بن عيسى، حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبد الله حدثه أن رسول الله ﷺ قال «العار والتخزية تبلغ من ابن آدم فى القيامة فى المقام بين يدي الله عز وجل ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار» حديث غريب. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهدجده، فقال البخارى<sup>(٣)</sup> رحمه الله: حدثنا سعيد بن أبى مریم، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرنى

(١) ضعيف: المسند (١٢٩٤٣) وفيه أبو عقاب هلال بن زيد: منكر.

(٢) ضعيف جدًا: أبو يعلى فى «مسنده» (٣١١/٣) برقم (١٧٧٦)، انظر السلسلة الضعيفة (٥٠١١).

(٣) البخارى برقم (٤٥٦٩).

شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء، فقال ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَيْدِيهِ وَالنَّهَارِ اللَّيْلِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٦٣﴾ الآيات، ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى بالناس الصبح. وهكذا رواه مسلم<sup>(١)</sup> عن أبي بكر بن إسحاق الصنعاني، عن ابن أبي مريم به. ثم رواه البخاري<sup>(٢)</sup> من طرق عن مالك، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل أو قبله أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها، فأحسن وضوءه، ثم قام يصلى. قال ابن عباس رضى الله عنهما: فقامت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقامت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسى، وأخذ بأذنى اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح. وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به. ورواه مسلم أيضاً وأبو داود<sup>(٣)</sup> من وجوه أخر عن مخرمة بن سليمان به.

(طريق أخرى) لهذا الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال أبو بكر بن مردويه<sup>(٤)</sup>: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي، حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة، أنبأنا خلاد بن يحيى، أنبأنا يونس عن أبي إسحاق، عن المنهال بن عمرو، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن عبد الله بن عباس، قال: قال: أمرنى العباس أن أبيت بأل رسول الله ﷺ وأحفظ صلاته. قال: فصلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة العشاء الآخرة حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيره، قام فمر بى، فقال: من هذا؟ عبد الله؟ قلت: نعم، قال: فمه؟ قلت: أمرنى العباس أن أبيت بكم الليلة. قال: «فالحق الحق» فلما أن دخل قال: افرشنى عبد الله؟ قال: فاتى بوسادة من مسوح. قال: فنام رسول الله ﷺ عليها حتى سمعت غطيظه، ثم استوى على فراشه قاعداً، قال: فرفع رأسه إلى السماء فقال «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها. وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي<sup>(٥)</sup> من حديث علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه حديثاً في ذلك أيضاً.

(طريق أخرى) رواها ابن مردويه<sup>(٦)</sup> من حديث عاصم بن بهدلة عن بعض أصحابه، عن سعيد بن

(١) مسلم برقم (٧٦٣).

(٢) البخاري برقم (١١٩٨).

(٣) مسلم برقم (٧٦٣)، وأبو داود برقم (١٣٦٧).

(٤) من هذا الطريق أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٠٨/٣).

(٥) صحيح: مسلم (٧٣٦)، وأبو داود برقم (١٣٦٧)، والنسائي (١٧٠٥).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٢/١)، برقم (٦٩٦)، من طريق أبي هبيرة عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس، انظر صحيح الجامع (١٢٥٩).



وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها وهي في خدرها، فسلمنا عليها، فقالت: من هؤلاء؟ قال: فقلنا: هذا عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير. قالت: يا عبيد بن عمير. ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: ما قال الأول: زر غيبًا تزدد حبًا. قالت إنا لنحب زيارتك وغشيانك. قال عبد الله بن عمر: دعينا من بطالتكما هذه، أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ. قال: فبكت ثم قالت: كل أمره كان عجبًا، أتاني في ليلتي حتى دخل معي في فراشي، حتى لصق جلده بجلدي، ثم قال: «يا عائشة ائذني لي أتعبد لربي». قالت: إني لأحب قريبك وأحب هواك. قالت: فقام إلى قربة في البيت فما أكثر صب الماء، ثم قام فقرأ القرآن، ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقويه، قالت: ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم بكى حتى رأيت دموعه بلغت حجره، قالت: ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت: ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فأذنه بصلاة الفجر، ثم قال: الصلاة يا رسول الله، فلما رآه بلال يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال «يا بلال أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ ومالي لا أبكي وقد نزل على الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إلى قوله ﴿سُبْحَانَكَ قَوْلًا عَذَابَ الثَّارِ﴾ - ثم - قال: «ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها» وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن حبان<sup>(١)</sup> في صحيحه عن عمران بن موسى، عن عثمان بن أبي شيبة، عن يحيى بن زكريا، عن إبراهيم بن سويد النخعي، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فذكر نحوه. وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار عن شجاع بن أشرس به. ثم قال: حدثني الحسن بن عبد العزيز: سمعت سنيذًا يذكر عن سفيان هو الثوري رفعه، قال «من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها ويله» يعد بأصابعه عشرًا - قال الحسن بن عبد العزيز: فأخبرني عبيد بن السائب قال: قيل للأوزاعي: ما غاية التفكير فيهن؟ قال: يقرأهن وهو يعقلهن.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني قاسم بن هاشم، حدثنا علي بن عياش، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل؟ فأطرق هنية ثم قال: يقرؤهن وهو يعقلهن.

(حديث آخر) فيه غرابة. قال أبو بكر بن مردويه<sup>(٢)</sup>: حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن نمير، حدثنا إسحاق بن إبراهيم البستي (ح) قال: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أحمد بن عمرو قال: أنبأنا هشام بن عمار، أنبأنا سليمان بن موسى الزهري، أنبأنا مظاهر بن أسلم المخزومي، أنبأنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة. مظاهر بن أسلم ضعيف.

(١) صحيح: عزاه المصنف لابن أبي حاتم، وأخرجه ابن حبان (٣٨٦/٢) برقم (٦٢٠)، انظر السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١٤١/٢)، من طريق محمد بن سنان عن هشام بن عمار به، وانظر تعليق المصنف.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنَ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٥٦﴾﴾

يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي فأجابهم ربهم، كما قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قال سعيد بن منصور<sup>(١)</sup>: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن سلمة رجل من آل أم سلمة، قال:

قالت أم سلمة: يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء. فأنزل الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ﴾ إلى آخر الآية. وقالت الأنصار: هي أول ظعينة قدمت علينا، وقد رواه الحاكم<sup>(٢)</sup> في مستدرکه من حديث سفيان بن عيينة. ثم قال: صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت: آخر آية نزلت هذه الآية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنَ بَعْضٍ﴾ إلى آخرها، رواه ابن مردويه<sup>(٣)</sup>، ومعنى الآية أن المؤمنين ذوى الألباب لما سألوها ما سألوها مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ﴾ هذا تفسير للإجابة، أي قال لهم مجيباً لهم أنه لا يضيع عمل عامل لديه، بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى، وقوله ﴿بَعْضُكُمْ مِّنَ بَعْضٍ﴾ أي جميعكم فى ثوابى سواء، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والمخلان والجيران، ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ﴾ أي ضايقتهم المشركون بالأذى حتى الجثومهم إلى الخروج من بين أظهرهم، ولهذا قال ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرِّسُولَ وَإِنَّا لَمَنُورٌ أَن نُّؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [المنحنة: ١] وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ وهذا أعلى المقامات أن يقاتل فى سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه، وقد ثبت فى الصحيحين<sup>(٤)</sup> أن رجلاً قال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت فى سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، أيكفر الله عنى خطاياى؟ قال «نعم ثم قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه ما قال، فقال: نعم، إلا الدين، قاله لى جبريل أنفاً» ولهذا قال تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى تجرى فى خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(١) صحيح: أخرجه سعيد بن منصور (١٠/٣)، برقم (٥٥٢)، انظر صحيح جامع الترمذي.

(٢) صحيح: الحاكم فى «المستدرک» (١٧/٤) برقم (٦٧٥٧)، انظر صحيح جامع الترمذي.

(٣) عزاه المباركفوري فى «تحفة الأحوذى»، (٨/٣٠٠) لابن مردويه.

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٨٥)، من حديث أبى قتادة، وهو ليس عند البخاري كما وهم المصنف.

وقوله ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم، لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزيلًا كثيرًا، كما قال الشاعر:

إن يعذب يكن غرامًا وإن يعط جزيلًا فإنه لا يبالي  
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسُنَ الثَّوَابُ﴾ أى عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحًا.

قال ابن أبي حاتم: ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال: قال الوليد بن مسلم، أخبرني حريز بن عثمان أن شداد بن أوس كان يقول: يا أيها الناس، لا تتهموا الله فى قضائه، فإنه لا يبنى على مؤمن، فإذا أنزل بأحدكم شيء مما يحب، فليحمد الله، وإذا أنزل به شيء مما يكره، فليصبر وليحتسب، فإن الله عنده حسن الثواب.

﴿لَا يَفْرَنُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَدِ ﴿٦٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٦٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّعَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَجْنُتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُنزِّلُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴿٦٨﴾﴾

يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور، فعمًا قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتنين بأعمالهم السيئة، فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجًا، وجميع ما هم فيه ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِنَا اللَّهُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَفْرَنُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَدِ﴾ [صافات: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّنَا مَرْجِمُهُمْ ثُمَّ يُدْفِنُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠]، وقال تعالى: ﴿نُتِمْمُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [القمان: ٢٤] وقال تعالى: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَنبَاهُمْ رَبُّنَا﴾ [الطارق: ١٧] أى قليلًا، وقال تعالى: ﴿أَمِنَ وَعَدَنَهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيمٌ كَنَّا مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصاص: ٦١] وهكذا لما ذكر حال الكفار فى الدنيا وذكر أن مآلهم إلى النار، قال بعده ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّعَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَجْنُتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُنزِّلُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ﴾.

وقال ابن مردويه<sup>(١)</sup>: حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا أبو طاهر سهل بن عبدالله، أنبأنا هشام بن عمار، أنبأنا سعيد بن يحيى، أنبأنا عبيد الله بن الوليد الوصافى عن محارب بن دثار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبى ﷺ قال «إنما سُمُّوا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حق» كذا رواه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبى، حدثنا أحمد بن جناب، حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن الوليد الوصافى، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر، قال: إنما سماهم الله أبرارًا لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حق، وهذا أشبه، والله أعلم.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبى، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام الدستوائى عن رجل عن

(١) من هذا الطريق أخرجه الديلمي فى «الفردوس» (١/٣٤٦) برقم (١٣٨٦)، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، وفيه سعيد بن يحيى: صلوق.

الحسن، قال: الأبرار الذين لا يؤذون الذر. وقال ابن أبي حاتم أيضًا: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن خيشمة عن الأسود، قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا الموت خير لها، لئن كان براء لقد قال الله تعالى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ وكذا رواه عبد الرزاق عن الأعمش عن الثوري به. وقرأ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقال ابن جرير: حدثني المشني، حدثنا إسحاق، حدثنا ابن أبي جعفر عن فرج بن فضالة، عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني فإن الله يقول ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ويقول ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُطَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلِيَّكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠٩﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْرًا وَسَارُوا وَرَابِطُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿١١٠﴾﴾

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة أنهم خاشعون لله أي مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا أي لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد ﷺ وذكر صفته وبعثه وصفته أمته وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هودًا أو نصارى. وقد قال تعالى في سورة القصص ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا بَلَغَ لَهُمْ عِلْمُهُمْ قَالَوَا ءَأَمَّا بِهِ ءَأَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٢-٥٤] الآية. وقد قال تعالى ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] الآية. وقد قال تعالى ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ ءَأَمَّا إِلَهُهُمُ إِلَهُهُمُ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَتْلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] وقال تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمَّا قَاهِمَةٌ يَتْلُونَ ءَأَيَّتِ اللَّهِ ءَأَنَّهُ الْبَاطِلُ وَهُمْ يَسْتَجِدُّونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] وقال تعالى ﴿قُلْ ءَأَيُّكُمْ بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُرُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلًا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس وأما النصارى منهم يهتدون وينقادون للحق كما قال تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَتُكَ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَيَسْتَكْبِرُونَ وَهُمْ لَا يُسْمِعُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَّا فَاكُنْتُمْ مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَنبِئُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الماندة: ٨٢-٨٥]. وهكذا قال ههنا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الآية.

وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ سورة كهيعص بحضرة النجاشي

ملك الحبشة وعنده البطارقة والقساوسة بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم<sup>(١)</sup>. وثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> أن النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه وقال «إن أخا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه» فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه. وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ «استغفروا لأخيكم» فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة فنزلت ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية. ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي ﷺ ثم رواه ابن مردويه من طرق عن حميد عن أنس بن مالك نحو ما تقدم. ورواه أيضا ابن جرير<sup>(٣)</sup> من حديث أبي بكر الهذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي «إن أخاكم أصحابكم قد مات» فخرج رسول الله ﷺ فصلى كما يصلي على الجنائز فكبر أربعاً. فقال المنافقون يصلي على علج مات بأرض الحبشة فأنزل الله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية.

وقال أبو داود<sup>(٤)</sup> حدثنا محمد بن عمرو الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق حدثني يزيد ابن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.

وقد روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم<sup>(٥)</sup> في مستدركه أنبأنا أبو العباس السيارى ومرو حدثنا عبد الله بن علي الغزال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق حدثنا ابن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: نزل بالنجاشي عدو من أرضهم فجاءه المهاجرون فقالوا: إنا نحب أن تخرج نقاتل معك وترى جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا فقال: لداء ينصر الله عز وجل خير من دواء بنصرة الناس. وفيه نزلت ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية. ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني مسلمة أهل الكتاب وقال عباد بن منصور سألت الحسن البصري عن قول الله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية. قال هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد ﷺ فاتبعوه وعرفوا الإسلام فأعطاهم الله تعالى أجر اثنين للذي كانوا عليه من الإيمان قبل محمد ﷺ واتباعهم محمدا ﷺ رواه ابن أبي حاتم وقد ثبت في الصحيحين<sup>(٦)</sup> عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم» رجلا من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي وقوله تعالى ﴿لَا

(١) أخرجه أحمد برقم (١٧٤٢)، من حديث أم سلمة، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨٧٧)، ومسلم برقم (٩٥٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) ابن جرير (٢١٨/٤)، وفيه أبو بكر الهذلي: ضعيف.

(٤) ضعيف: أبو داود برقم (٢٥٢٣)، انظر صحيح أبي داود.

(٥) الحاكم في المستدرک (٣٢٩/٢) برقم (٣١٧٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦) البخاري برقم (٣٠١١)، ومسلم برقم (١٥٤) من حديث عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري).

يَسْتَرُونَ بِعَابَتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup> أي لا يكتُمون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفة المرذولة منهم بل يبدلون ذلك مجاناً ولهذا قال تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قال مجاهد سريع الحساب يعني الإحصاء. رواه ابن أبي حاتم وغيره.

قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال الحسن البصري أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضرء ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين وأن يصابروا الأعداء الذين يكتُمون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وسهل ابن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم وروى ابن أبي حاتم ههنا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي<sup>(١)</sup> من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط».

وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبو جحيفة علي بن يزيد الكوفي أنبأنا ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال أقبل علي أبو هريرة يوماً فقال أتدري يا ابن أخي فيم نزلت هذه الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قلت لا. قال أما إنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابطون فيه ولكنها نزلت في قوم يعمرن المساجد ويصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم أنزلت ﴿أَصْبِرُوا﴾ أي على الصلوات الخمس ﴿وَصَابِرُوا﴾ أنفسكم وهواكم ﴿وَرَابِطُوا﴾ في مساجدكم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ فيما عليكم ﴿لَمَّا كُم تَفْلِحُونَ﴾. وهكذا رواه الحاكم<sup>(٢)</sup> في مستدركه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب بن ثابت عن داود ابن صالح عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup> حدثني أبو السائب حدثني ابن فضيل عن عبدالله بن سعيد المقبري عن جده عن شرحبيل عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب والخطايا؟ إسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط» وقال ابن جرير أيضا حدثني موسى بن سهل الرملي حدثنا يحيى بن واضح حدثنا محمد بن مهاجر حدثني يحيى بن زيد عن زيد بن أبي أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب؟» قلنا بلى يا رسول الله قال «إسباغ الوضوء في أماكنها وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط».

وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي أنبأنا محمد بن عبدالله بن سلام البرنوثي أنبأنا محمد بن غالب الإنطاكي أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن أنبأنا الوازع بن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي أيوب قال: وفد علينا رسول الله ﷺ فقال «هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الأجر؟» قلنا

(١) مسلم برقم (٢٥١)، النسائي برقم (١٤٣).

(٢) ضعيف: الحاكم في «المستدرک» (٣٢٩/٢) برقم (٣١٧٧)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٤٠).

(٣) ابن جرير (٢٢٢/٤).

نعم يا رسول الله وما هو؟ قال «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة» قال «وهو قول الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَمَّا كُنْتُمْ تَتْلُونَ﴾» فذلك هو الرباط في المساجد . وهذا حديث غريب من هذا الوجه جدا .

وقال عبدالله بن المبارك <sup>(١)</sup> عن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير حدثني داود بن صالح قال : قال لي أبو سلمة بن عبدالرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال قلت لا قال : إنه لم يكن يا ابن أخي في زمان رسول الله ﷺ غزو يربط فيه ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة رواه ابن جرير وقد تقدم سياق ابن مردويه له إنه من كلام أبي هريرة رضي الله عنه والله أعلم وقيل المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو في نحو العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين وقد وردت الأخبار بالترغيب في ذلك وذكر كثرة الثواب فيه فروى البخاري <sup>(٢)</sup> في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» .

(حديث آخر) روى مسلم <sup>(٣)</sup> عن سلمان الفارسي ، عن رسول الله ﷺ أنه قال «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد <sup>(٤)</sup> : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح ، أخبرني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجثبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر» وهكذا رواه أبو داود والترمذي <sup>(٥)</sup> من حديث أبي هانئ الخولاني وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان <sup>(٦)</sup> في صحيحه أيضاً .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد <sup>(٧)</sup> : حدثنا يحيى بن إسحاق ، وحسن بن موسى وأبو سعيد قالوا : حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا مشرح بن هاعان ، سمعت عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه يجري عليه عمله حتى يبعث ويأمن من الفتان» وروى الحارث بن محمد بن أبي أسامة في مسنده عن المقبري وهو عبد الله بن يزيد به إلى قوله «حتى يبعث» دون ذكر «الفتان» وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد .

(حديث آخر) قال ابن ماجه <sup>(٨)</sup> في سننه : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى عليه عمله الصالح الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن من الفتان ، وبعثه الله

(١) ضعيف : ابن المبارك في «الزهد» (١٣٧/١) ، برقم (٤٠٨) ، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٤٠) .

(٢) البخاري برقم (٢٨٩٢) . (٣) مسلم برقم (١٩١٣) .

(٤) صحيح : المسند (٢٧٧٢٤) ، انظر المشكاة (٣٨٢٣) .

(٥) صحيح : أبو داود برقم (٢٥٠٠) ، الترمذي برقم (١٦٢١) ، انظر صحيح الجامع (٤٥٦٢) .

(٦) صحيح : ابن حبان (٤٨٤/١٠) برقم (٤٦٢٤) ، انظر صحيح الجامع (٤٥٦٢) .

(٧) صحيح : المسند (١٦٩٨٣) ، انظر صحيح الجامع (٤٥٦٢) .

(٨) صحيح : ابن ماجه برقم (٢٧٦٧) ، انظر صحيح سنن ابن ماجه .

يوم القيامة أمناً من الفزع الأكبر» .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا موسى، أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال «من مات مرابطاً وقى فتنة القبر، وأمن من الفزع الأكبر، وغدا عليه وريح برزقه من الجنة، وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة» .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن حلحلة الدؤلي، عن إسحاق بن عبد الله عن أم الدرداء ترفع الحديث، قالت: «من رباط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة» .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا كهمس، حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، قال: قال عثمان رضى الله عنه وهو يخطب على منبره: إني محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمتنعني أن أحدثكم به إلا الضن بكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول «حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها» وهكذا رواه أحمد أيضاً<sup>(٤)</sup> عن روح، عن كهمس، عن مصعب بن ثابت، عن عثمان، وقد رواه ابن ماجه<sup>(٥)</sup> عن هشام بن عمار، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن مصعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزبير، قال: خطب عثمان بن عفان الناس فقال: يا أيها الناس إني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لم يمتنعني أن أحدثكم به إلا الضن بكم وبصحابتكم، فليختر مختار لنفسه أو ليدع» سمعت رسول الله ﷺ يقول «من رباط ليلة في سبيل الله كانت كالف ليلة صيامها وقيامها» .

(طريق أخرى) عن عثمان رضى الله عنه . قال الترمذى<sup>(٦)</sup>: حدثنا الحسن بن على الخلال، حدثنا هشام بن عبد الملك، حدثنا الليث بن سعد، حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان، قال: سمعت عثمان وهو على المنبر يقول: إني كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عنى، ثم بدا لى أن أحدثكموه: ليختر امرؤ لنفسه ما بدا له، سمعت رسول الله ﷺ يقول «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل» . ثم قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال محمد يعنى البخارى أبو صالح مولى عثمان اسمه بركان، وذكر غير الترمذى أن اسمه الحارث، والله أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> من حديث الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة، وعنده زيادة فى آخره فقال يعنى عثمان: فليرباط امرؤ كيف شاء هل بلغت؟ قالوا: نعم . قال: اللهم اشهد .

(١) المسند (٨٩٩١)، وفيه ابن لهيعة اختلط .

(٢) ضعيف: المسند (٢٦٥٠٠)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٧٧٨) .

(٣) المسند (٤٦٥)، وفيه مصعب بن ثابت: ضعفه بعضهم .

(٤) المسند (٤٣٥)، وفيه مصعب بن ثابت: سبق الكلام عنه في الحديث السابق لهذا .

(٥) حسن: ابن ماجه برقم (٢٧٦٦)، انظر صحيح الجامع (٥٩١٥) .

(٦) حسن: الترمذى برقم (١٦٦٧)، انظر صحيح جامع الترمذى .

(٧) أحمد برقم (٤٤٤)، وفيه ابن لهيعة: اختلط .

(حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذى<sup>(١)</sup>: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، حدثنا محمد بن المنكدر، قال: مر سلمان الفارسي. بشر حبييل بن السمط، وهو في مرابط له وقد شق عليه وعلى أصحابه، فقال: أفلا أحدثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «رباط يوم في سبيل الله أفضل - أو قال خير - من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وقى فتنة القبر، ونمى له عمله إلى يوم القيامة» تفرد به الترمذى من هذا الوجه، وقال: هذا حديث حسن، وفي بعض النسخ زيادة وليس إسناده بمتصل، وابن المنكدر لم يدرك سلمان.

(قُلْتُ): الظاهر أن محمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السمط، وقد رواه مسلم والنسائي<sup>(٢)</sup> من حديث مكحول وأبي عبيدة بن عقبة، كلاهما عن شرحبيل بن السمط وله صحبة عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» وقد تقدم سياق مسلم بمفرده.

(حديث آخر) قال ابن ماجه<sup>(٣)</sup>: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة، حدثنا محمد بن يعلى السلمي، حدثنا عمر بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو، عن مكحول، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «لرباط يوم في سبيل الله، من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها، ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً - أراه قال - من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها، فإن رده الله تعالى إلى أهله سالمًا لم تكتب عليه سيئة ألف سنة، وتكتب له الحسنات، ويجرى له أجر الرباط إلى يوم القيامة» هذا حديث غريب، بل منكر من هذا الوجه، وعمر بن صبيح متهم.

(حديث آخر) قال ابن ماجه<sup>(٤)</sup>: حدثنا عيسى بن يونس الرملي، حدثنا محمد بن شعيب بن شابور عن سعيد بن خالد بن أبي طويل، سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «حرس ليلة في سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة. السنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة» وهذا حديث غريب أيضاً، وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة وغير واحد من الأئمة، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقال الحاكم: روى عن أنس أحاديث موضوعة.

(حديث آخر) قال ابن ماجه<sup>(٥)</sup>: حدثنا محمد بن الصباح، أنبأنا عبد العزيز بن محمد عن صالح بن محمد بن زائدة، عن عمر بن عبد العزيز، عن عقبة بن عامر الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله حارس الحرس» فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر، فإنه لم يدركه والله أعلم.

(١) صحيح: الترمذى برقم (١٦٦٥)، انظر صحيح جامع الترمذى، وانظر تعليق المصنف بعد الحديث.

(٢) مسلم برقم (١٩١٣)، والنسائي برقم (٣١٦٧).

(٣) موضوع: ابن ماجه برقم (٢٧٦٨)، قال الحافظ: هذا حديث غريب بل منكر من هذا الوجه.

(٤) موضوع: ابن ماجه برقم (٢٧٧٠)، انظر ضعيف سنن ابن ماجه.

(٥) ضعيف: ابن ماجه برقم (٢٧٦٩)، انظر ضعيف سنن ابن ماجه.

(حديث آخر) قال أبو داود<sup>(١)</sup> : حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية يعني ابن سلام عن زيد - يعني ابن سلام - أنه سمع أبا سلام قال: حدثني السلولى أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا السير حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة مع رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم النبي ﷺ وقال «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله» ثم قال «من يحرسنا الليلة؟» قال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله، فقال «فاركب» فركب فرساً له، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغز من قبلك الليلة» فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين ثم قال «هل أحسستم فارسكم؟» فقال رجل: يا رسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاة، فجعل النبي ﷺ وهو يصلى يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال «أبشروا فقد جاءكم فارسكم» فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف على النبي ﷺ، فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرتني، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أرَ أحداً، فقال له رسول الله ﷺ «هل نزلت الليلة؟» قال: لا إلا مصلياً أو قاضياً حاجة، فقال له «أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها». ورواه النسائي<sup>(٢)</sup> عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة وهو الربيع بن نافع به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عبد الرحمن بن شريح، سمعت محمد بن شمير الرعيني يقول: سمعت أبا عامر التجيبي، قال الإمام أحمد: وقال غير زيد أبا على الجنبى يقول: سمعت أبا ريحانة يقول كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة، فأتينا ذات ليلة إلى شرف، فبتنا عليه، فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر فى الأرض حفرة يدخل فيها ويلقى عليه الجحفة يعنى الترس، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ من الناس نادى «من يحرسنا فى هذه الليلة فأدعو له بدعاء يكون له فيه فضل؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله فقال «ادن» فدنا، فقال «من أنت؟» فسمي له الأنصارى، ففتح رسول الله ﷺ بالدعاء فأكثر منه.

فقال أبو ريحانة: فلما سمعت ما دعا به رسول الله ﷺ قلت: أنا رجل آخر، فقال «ادن»، فدنوت فقال «من أنت؟» قال: فقلت: أنا أبو ريحانة، فدعا بدعاء هو دون ما دعا للأنصارى، ثم قال «حرمت النار على عين دعت - أو بكت - من خشية الله، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله» وروى النسائي منه «حرمت النار» إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به، وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح به، وأتم وقال فى الروایتين عن أبى على الجنبى.

(حديث آخر) قال الترمذى<sup>(٤)</sup> : حدثنا نصر بن على الجهضمي، حدثنا بشر بن عمر، حدثنا

(١) صحيح: أبو داود برقم (٢٥٠١)، انظر صحيح سنن أبي داود.

(٢) صحيح: النسائي فى «الكبرى» (٢٧٣/٥) برقم (٨٨٧٠)، انظر صحيح الترغيب والترهيب.

(٣) حسن: المسند (١٦٧٦٢)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٢٤٣).

(٤) صحيح: الترمذى برقم (١٦٣٩)، انظر صحيح جامع الترمذى.

شعيب بن رُزَيْق أبو شيبَةَ عن عطاء الخراساني، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» ثم قال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رُزَيْق، قال وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة . .

(قُلْتُ) وقد تقدما، ولله الحمد والمنة .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين عن زِيَّان، عن سهل بن معاذ، عن أبيه معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال «من حرس من وراء المسلمين متطوعًا لا بأجرة سلطان، لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم، فإن الله يقول ﴿وَلَنْ يَنْكُرَ إِلَّا وَاِرْدَهُ﴾ [مریم: ٧١]» تفرد به أحمد رحمه الله .

(حديث آخر) - روى البخاري<sup>(٢)</sup> في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقية كان في الساقية، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع». فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام، ولله الحمد على جزيل الإنعام، على تعاقب الأعوام والأيام .

وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: حدثني المثنى، حدثنا مطرف بن عبد الله المدني، حدثنا مالك عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعًا من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجًا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَمَّا كُنتُمْ تَقْلِبُونَ﴾ وهكذا روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه، قال: أملى على عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعته للخروج، وأنشدها معى إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة، وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة .

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنجورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنايك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى وغبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

(١) ضعيف: المسند (١٥١٨٥)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٧٨٦).

(٢) البخاري برقم (٢٨٨٧).

(٣) ابن جرير (٢٢١/٤).

قال: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قال: قلت: نعم، قال: فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا وأملى علي الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله، فقال «هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟» فقال: يا رسول الله، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ «فوالذي نفسي بيده لو طوّقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله، أو ما علمت أن الفرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له بذلك الحسنات» وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي في جميع أموركم وأحوالكم، كما قال النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن»<sup>(١)</sup> ﴿لَكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ أي في الدنيا والآخرة - وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأ ابن وهب أنبأ أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قول الله عز وجل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ واتقوا الله فيما بيني وبينكم لتفلكون غداً إذا لقيتموني.

انتهى تفسير سورة آل عمران، ولله الحمد والمنة، نسأله الموت على الكتاب والسنة آمين.



(١) حسن: أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧)، أحمد برقم (٢٠٨٤٧)، انظر صحيح جامع الترمذي.